أنور إسحق

تزييف الإسلام



الفارابي

أنـــور إسحق

تزييف الإسلام

دار الفارابي

الكتاب: تزييف الإسلام
المؤلف: أنور إسحق
الغلاف: فارس غصوب

الناشر: دار الفارابي - بيروت - لبنان
ت: 301461(01) ـ فاكس: 307775(01)
ص.ب: 3181/ 11 ـ الرمز البريدي: 2130 1107
e-mail: farabi@inco.com.lb
www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى 2008
ISBN: 978-9953-71-240-6

الإهداء

لما كانت أميركا وأوروبا هما الطفل والحفيد المدلّل لآسيا التي أنجبتهما، ولم يُقدَّرْ لهما قطّ أن يتبيّنا ماهو دين محمد والمسيح عليهما السلام، أردت أن أهديهما كتابي هذا.

بسم الله الرحمن الرحيم[1]

عندما أدركت أن الحرية تكمن وراء قضبان الجهل التي بنيناها بأنفسنا، شعرت بالواجب أن أكتب هذا الكتاب.

(1) المصحف الشريف.

المقدمة

لماذا يسير العالم الإسلامي إلى الوراء؟ فأعمارنا إذا ما قُورنت بالغرب واليابان قصيرة ودخلنا قليل وشحيح، ولا يستطيع المجتمع الإسلامي تحقيق قفزات إلى الأمام. سؤال طرحه الأستاذ الكريم جودت سعيد.

ويتعاظم هذا السؤال أمام أراضٍ مغتصبة وأطماع فاضحة بالثروات، ودماء مهدورة، وعدالة غائبة، وعلماء دين مدبرين عن الفهم. وفي ظلام دامس يمضي أولئك الذين يعبدون الجهل في مجتمع يدعي أنه إسلامي.

سلبوا الإنسان إنسانيته، فجعلوه (رعية) ونهبوا حريته السياسية وحقوقه المدنية، ووضعوه في سجن بعيداً عن الحرية العقلية والخلقية على السواء، ثم راحوا يمنّون عليه بحياة الذل والعبودية.

والحلول التي توضع للأزمة تزيدها أزماتٍ بدلاً من أن تجد لها الإنفراجات. والجميع يتساءلون: هل المشكلة في المفكرين أم في الواقع الذي نعيشه؟ بل إنّ بعضهم يسأل هل الفكر هو المشكلة؟

إن نظرة فاحصة ودقيقة، ودراسة تحليلية للشعارات

المطروحة من جهة، وأجوبة علماء الدين المتناقضة من جهة أخرى، تشير بكل وضوح إلى مدى الضلال الذي يعيشه الإنسان المسلم، الذي لم ينجح بعد لا في تحديد سبب المشكلة، ولا في إيجاد الحلول السليمة لها. فثمة من يعزو مشكلة العالم الإسلامي إلى الغرب والاستعمار والهيمنة الامبريالية، وثمة من يقول إنه يجب تحديث الفكرالإسلامي ليتماشى مع الواقع الجديد. وآخر يقول إنّ الإسلام السياسي هو الحل، وإنّ غياب الإسلام هو السبب. ونتيجة لذلك تعددت الأجوبة، فمن منظّر لحوار (الأديان) إلى الذين يؤمنون بالعنف، هناك تيّارات متعدّدة تميل إلى هذا الطرف أو ذاك، والكل سابح في هذا التيار أو ذلك، في حين تواجهنا كل أسبوع هذه الضلالات على شاشات التلفزة على أنها الشريعة والحياة. إلى أن أصبح الإسلام والإرهاب لفظتين مترادفتين للدلالة على شيء واحد.

هذه الآراء المتناقضة هي في الحقيقة رأي واحد مناقض لذاته، وما هو إلا لون من ألوان الخرافة لا يمت بأي صلة إلى نور العرفان.

بل هو ظلام أشدّ قتامةً يتخبّطون فيه مطمئنين معتبرين عبادتهم للجهل علماً، ولما كانت حكومات الأرض من جهة والفضائيات من جهة أخرى لا تجرؤ على مواجهة الرأي الآخر المغيّب عن الساحة الفكرية، وجدت أنه من الواجب أن أدوّن كتاباً باللغتين العربية والانكليزية يشير إلى مكان

الخلل أو المرض الذي يعانيه إنسان الأرض، وهو مرض واحد في كل الأرض لكنّ أطواره مختلفة من منطقة إلى أخرى.

ذلك أنه ما من أمّة غُلِبَتْ على أمرها إلا بعد أن دمرت هي نفسها أولاً.

هذا الكتاب محاولة لإحياء المصطلحات كما عرّفها المولى سبحانه، ولقد حاولت ربط المفاهيم بعضها ببعض، كمفهوم القتال وعلاقته بالمتّقي من غيره من الناس ودوره في مملكة الله على الأرض.

وكيف أدرك الأنبياء الفرق بين الجهاد والقتال، في نظام متكامل دقيق بحيث أن كل مفهوم يشير إلى نظيره ويطوّره، ويلقي عليه الضوء ليشكّل شبكة واحدة متماسكة لا تناقض فيها.

في هذا الكتاب حاولت أن أركز على الإنسان ودوره في مملكة الله على الأرض، هذه اللبنة البانية (النواة) التي تسير على سُنّة الذين خلوا من قبل، وربما يكون هذا الكتاب قفزة في الظلام (ظلام الواقع)، في غمار هذه الفوضى التي تردّت فيها الحياة وكشفت الطبيعة البشرية. لكنّ مشكاة الله ونوره المتفجّر من كتبه، كانا خير هاد وأصدق دليل، فباسم الله نبدأ وله الحمد دائماً، وبه نستعين.

الشبكة الطاغوتية في الأرض

لمحة تاريخية

منذ أن كان الإنسان يعيش في الكهف إلى هذا اليوم وهو يحمل عصا الاستبداد؛ ولقد تغير كل شيء إلا العصا وحاملها. بل على العكس لقد طوّر حامل العصا أدواته، وجعل العلم والدين في خدمة عصاه، فزيّف دين الله وجعله أفيناً للحياة.

كيف يبدأ الطغيان وكيف يستعبد إنسان إنساناً آخر أو شعباً بأسره أو حتى شعوباً مختلفة؟ سؤال تعددت الإجابات عنه.

بعد أن سقطت حكومة صدّام حسين في العراق، شاهد العالم على شاشات التلفزة فوضى عارمة من نهب وسرقة واغتصاب، حيث تُركت البلاد تتجادع أفاعيها، فكانوا مندهشين لا يصدقون ماتراه أعينهم. وإنْ دلَّ هذا على شيء فإنما يدل على أمرين اثنين:

أولاً: جهل الشعب العراقي المسكين التاريخَ من جهة،

ومخططات الديموقراطية في البيت الأبيض من جهة أخرى.
فمن يقرأ التاريخ يجد أن عادة الطواغيت جرت، أنه عند موت الطاغوت أو مقتله في العصور القديمة، كان يترك البلد عدة أيام بغير طاغية ومن دون نظام وبلا قانون، لتعم الفوضى والرعب والاضطراب أنحاء البلاد وكان الهدف السياسي من جراء ذلك أن يحمل السلب والنهب والاغتصاب الناس على البحث والولاء للطاغوت الجديد عند ظهوره، ولتبقى الذكرى الأليمة درساً لا يُنسى ولا يزول من ذاكرة الناس إن غابت السلطة السياسية الحاكمة.

ثانياً: بعد أن أعلن رئيس البيت الأبيض أمام جيشه وعلى مسمع الملأ أن المهمة قد أنجزت واكتملت وكانت الضحايا البشرية معدودة وسادت الفوضى المبرمجة ثم انتهت؛ جاءت الفوضى الحقيقية وبدأ القتل والبيت الأبيض يبحث عن طريق للخروج من مستنقع الفوضى والقتل الذي دخله.

إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على جهل مستشاري البيت الأبيض من الأميركان والعرب على السواء ماهية تأثير الدين الإسلامي في هذه المنطقة من العالم، وما يراه العالم اليوم لا يتجاوز صفحة من كتاب يحوي في ثناياه عجائب ودروساً لا قِبَلَ لهم بها حيث أن انتهاء الحرب وخروج الجيش الأميركي لن ينهيا صفحات الكتاب.

لكنني هنا سأحاول أن أجيب من المصحف، إذ يقول

الله تعالى: ﴿تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: 64].

إن اختفاء المساواة، وتزييف أركان الإسلام، وجعل شركاء لله في الحكم والتشريع والملك يجعل هذه التراتبية قائمة، ولقد خلق الله الإنسان وجعله إزاء سُنّة من سنن الله الثابتة، قال المولى سبحانه: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤)﴾ [طه: 123-124].

وهل هناك معيشة أشدّ ضنكاً من معيشة المسلمين اليوم؟ شعوب يلقى بها في مخالب المنايا لغير سبب تدركه عقولهم، شعب عجز عن حكم نفسه أو عجز عن استغلال موارده الطبيعية، لابد من وقوعه فريسة لأمم تعاني مما يستثيرها من دوافع الجشع وبسط النفوذ، وسأذكر ذلك في فصل لاحق، ولكنني هنا سأسرد لمحة تاريخية عن الطاغوت، وأشكاله وسياقه التاريخي وتطوره.

إن أفراد عائلة الطاغوت في التاريخ كثيرة الفروع، بل إن فروعها في ازدياد، وإن تغير المظهر الخارجي لفرعون لا يغيّر حقيقته، إن جوهر الطاغوت واحد، فهو دائماً مصدر للكراهية والخوف من ناحية، والود والإعجاب من قبل طائفة من المجتمع تُعْتَبَر نسغه الحي الذي يغذّيه من ناحية أخرى.

وهنا لابد لنا من تعريف الإرهاب.

إذا عدنا إلى قواميس اللغة نجد تعريف الإرهاب على الشكل التالي:

(استعمال القوة والتهديد والعنف المخيف، وإراقة الدماء خاصة لسبب سياسي أو الاكراه على أمر بالارهاب المروع والمذعر لتحقيق هدف ما)[2].

إذا عدنا إلى تاريخ نشوء كل حكومات الأرض الموجودة الآن نجد أنه ينطبق عليها تعريف الإرهاب تماماً، ولكن سُمّي العنف (الإرهاب) كفاحاً تارة وثورة تارةً أخرى، وسُمّي الذين يقومون بهذه الأعمال أبطالاً وشهداء. وبعد أن استتب الأمر للشبكة الطاغوتية بدأت تسميه إرهاباً. لذلك عندما اجتمع مائة وسبعون ممثلاً لهذه الدول وطُلب إليهم تعريف الإرهاب، لم يستطيعوا تعريفه رغم أنه مدوّن في قواميس اللغة، وما عليك إلا أن تعود إليها لتجد صدق ما أقول لك إن كانت الحقيقة أمراً يهمك. ولقد أدرك ول ديورانت هذه الحقيقة فكتب يقول: «إن كل دولة تبدأ بالقهر لكن سرعان ما تصبح عادات الطاعة هي مضمون الضمير ثم سرعان ما يهتز كل مواطن بشعور الولاء للعلم»[3].

لقد قاتلت شعوب الأرض الطاغوت طويلاً، ولقد جاهد

(2) المنجد في اللغة دار المشرق، توزيع المكتبة الشرقية 1986، بيروت، لبنان.

(3) قصة الحضارة، ج1، ول ديورانت، دار الجبل، ص46.

الطاغوت أيضاً لتغيير لونه واسمه وشعاراته، وحسّن من طغيانه ولبس عدة أقنعة، فتارة يقول: (نؤمن بالله) مع فصل الدين عن الدولة، ليكون الدين لله بعد أن زُيّف والدولة له. وتارة يرفع شعارات حقوق الإنسان والعدل والوطن والقومية وضرورات الأمن وغير ذلك، إلا أنه وفي مناطق أخرى من العالم بقي على حاله بل اشتد سوءاً في مناطق أخرى من الأرض مثل الشرق، وصار هناك صراع بين طاغوت الشرق والغرب فأخذ طاغوت الغرب ينظر إلى نظيره في الشرق على أنه متخلف ورجعي ولا إنساني، واستطاع أن يموّه حيلته على بعض العقول التي راحت تنادي بالوجه الجديد للطاغوت (الديموقراطية)، ولا زال الإنسان تائهاً لا يدري أيهما أهون الشرين.

عندما يساق قطيع من الغنم أو الماعز، يوضع جرس صغير في عنق أحد خرفان القطيع فيتبع القطيع صوت الجرس، وبذلك يبقى القطيع بعضه مع بعض ويساق إلى مكان ما والكلب يحوم حوله. كذلك اكتشف طواغيت الأرض أجراساً أخرى وضعوها في رقاب البشر، وجعلوا الجيش بمثابة الكلب الذي يحوم حول القطيع، لا ليحميه بل ليبقى الطاغوت متربعاً على عرش الله. وإذا مررت أمام مبنى هيئة طواغيت الأرض المتحدة في مدينة نيويورك تجد على أعمدة حديدية قطعاً من القماش تختلف ألوانها يسمونها (العَلَم) ويغني له الشعراء والمطربون:

أيها الخفاق في مجرى الهوى... إلخ.

ويحرك الطاغوت والسياسيون ورجال الدين، قطعة القماش هذه ليهيجوا القطيع من جهة، ثم يحركون باليد الأخرى حب الوطن والقومية ليهيجوا فيه حب الوطن الذي كانوا قد دربوه عليه في صغره والذي غنى له الشعراء وقالوا:

بلادي بلادي بلادي لك حبي وفؤادي... إلخ.

فإذا قال الطاغوت في خطابه اللهم بارك في هذا البلد ترى القطيع هائجاً مسروراً، وقد أدرك المسيح عليه السلام هذه اللعبة التي يمارسها رجال الدين من جهة وطواغيت الأرض من جهة أخرى فأراد أن يُخرج الإنسان من جلباب القومية أولاً ليخرجه من جلباب الدين المزيف ثانياً فقال: (ادخلوا من الباب الضيق لأنه واسع الباب ورحب الطريق الذي يؤدي إلى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذي يؤدي إلى الحياة وقليلون هم الذين يجدونه.

احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماراً رديئة لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً رديئة ولا شجرة رديئة أن تصنع أثماراً جيدة كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً

تقطع وتلقى في النار فإذاً من ثمارهم تعرفونهم). متى الاصحاح السابع (13-20).

جاء المسيح عليه السلام ليقول:

(تعالوا إلي ياجميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم احملوا نيري عليكم وتعلموا مني لأني وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم لأن نيري هين وحملي خفيف) متّى الاصحاح الحادي عشر (28-30).

في هذا الفصل من الكتاب سآتي على سرد الأشكال التاريخية للطغيان ثم أتحول لبيان كيف تبنى مملكة الله على الأرض، وما هي خصائص مملكة الله وهل للطاغوت دور فيها، وكيف يتراجع الطاغوت في مملكة الله من تلقاء ذاته إذا توافرت شروط بناء مملكة الله، لأن الدولة التي تعتمد على القوة وحدها سرعان ما يتقوض بناؤها.

تاريخياً هناك أشكال عديدة للطاغوت من أهمها:

1- الاستبداد 2- الدكتاتورية 3 - الشمولية 4- السلطة المطلقة 5- الأوتوقراطية 6- الإمام العادل 7- الطغيان 8- الديموقراطية.

1- الاستبداد

لقد خرج الاستبداد من نطاق الأسرة إلى نطاق المجتمع الواسع فهناك استبداد الذكورة سواء أكانوا آباءً أو إخوةً أو أزواجاً، وهناك استبداد الملوك الذين يخدعون الناس

بشعارات الله، الملك، الوطن، وبأن الملك هو بمثابة الأب الحامي للأسرة. ويصدق الإنسان البسيط، ويستبد الملك ويظن بأنه قد أصبح صاحب الملك وصاحب الإنسان ذاته، ولذلك يعطي لنفسه حق توجيه من يسميه (شعبي) إذا انحرف عن إرادته لأنه هو العارف المنقذ والشعب قاصر لا يعلم شيئاً، لذلك فليس من حقه الاعتراض.

إن الاستبداد خضوع الشعب بإرادته (التي استلبها الملك) للمستبد، وكان البيزنطيون هم الذين أدخلوا مصطلح الاستبداد في السياسة وكان يعتبر لقب شرف يطلقه الامبراطور على من يريد. ويُستخدم مصطلح الاستبداد في الغرب أكثر منه في الشرق، ويبرر الغرب عبر هذه الكلمة غزوه الاستعماري للبلاد.

لقد اعتبر المستبد الغربي الدولة العثمانية طاغية، إلا أن حقيقة الأمر أن كلاهما يشرب من مشرب واحد هو استلاب الإنسان لخدمته. لذلك درس الغرب الحكم العثماني بعقل خبير للقضاء عليه، ونجح في تقويضه.

مثل الدراسات التي قام بها الطبيب الفرنسي (برنيه)[4] حول تركيا والهند وإيران وبعض المناطق الأخرى. وهكذا راح المستبد يبحث عن تبريرات للاستبداد مما أدى إلى توزيع

(4) نمط الإنتاج (الآسيوي)، كتاب أندرسون، ص397.

السلطة الموجودة في يد الملك لويس الرابع عشر. كما راح أيضاً يبتكر أساليب جديدةً للاستبداد مثل الاستبداد الديموقراطي والتشريعي (طغيان الأكثرية)، ويسمّي الانتقال من استبداد إلى آخر أو من طغيان إلى آخر خطوات الوعي والحرية، ويسمّيها اليوم خطوات الاصلاح.

2- الدكتاتورية

جاء هذا المصطلح أول ما جاء من عند الرومان، إذ كان الدكتاتور يتمتع بسلطات غير عادية، وتخضع له القوات المسلحة والدولة والشعب، وكان الرومان يحددون فترة معينة للدكتاتورية، إلا أن الدكتاتور التف وتحايل على الفترة المحددة له بإبقاء الحالة تحت اسم حالة طوارىء أو ضرورات النُظُم أو خيارات الأمة أو ضرورات الأمن والاستقرار أو حتى حماية أمن الدولة والدفاع عن مصالح البلد.

يجدر بنا هنا أن نميّز بين المفهوم الحديث والقديم (للدكتاتورية) فالمفهوم القديم كان يلازم مهلة زمنية، أي بعد كوارث معينة، إلا أنه الآن أصبح حكماً مؤبداً متصلاً بالدكتاتور نفسه وبعرشه حتى ولو انتهت الإشكالية التاريخية الملازمة له، ولعل ما هو حاصل في العالم العربي خير مثال على ذلك. فالدكتاتور العربي يختبئ وراء عباءة إسرائيل والادعاء بأن هناك ضرورات قومية دينية، وطنية، لوجوده.

ومع أن العرب قد اعترفوا بإسرائيل وأبرموا معها الصلح إلا أن حالة الطوارىء لا تزال قائمة والدكتاتور لا يزال متربعاً على عقول الناس ورقابهم.

3- الشمولية

قناع آخر من أقنعة الطغيان وهو طغيان الأكثرية عن طريق الإرهاب والعنف وجبروت زعيم يمسك بقبضته كل السلطات، ويستطيع أن يجذب الجماهير لإطاعته طاعة عمياء مطلقة. إن الدولة كل شيء هنا وهي التي تفسر كل شيء وتنظمه والتاريخ مليء بالأمثلة مثل هتلر وموسليني. إن رأي الزعيم في السلطة الشمولية يعتبر رأي الشعب، وعادةً يتوجه الزعيم إلى أحاسيس الناس ومشاعرهم بإثارة الحماسة بالخطب الرنانة وكسب المشاعر والترغيب والترهيب وإظهار المقارنة بين إرادة الشعب وإرادة الزعيم الأوحد الذي يمثّل الخير والعدل.

4- السلطة المطلقة

سلطة الحكومة التي لا تتقيد بقيد ولا توجد لديها رقابة تحت ذريعة الاستقرار السياسي والاجتماعي، ولذلك راحت بعض دول أوروبا تنادي بسلطة غير محددة في صلاحياتها ولها السيادة المطلقة العليا، وبأن الحاكم لا يُخلع تحت أي ذريعة. ونظّروا لمفهوم أن الله هو الذي يُعيّن الملك وهو

على العرش بتفويض منه فتم خداع البشر لعدم معرفتهم بالله وبسننه.

5- الأوتوقراطية

الأوتوقراطية يمكن وصفها بأنها حكم تعسفي فردي يستطيع أن يبطل الدستورمتى يشاء، وبأنها حكومات فردية متنوعة ومتعددة تتصف بالاستبداد والطغيان، تجعل الفرد المتعسف يختبئ وراء دستور مطاطي وقوانين يتلاعب بها كيفما شاء.

6- ولاية الإمام العادل (المستبد الملهم)

هو غصن من غصون شجرة الطاغوت، ويعتقد معتنقو هذا المبدأ بأن المستبد العادل هو الذي يوحّد الأمة ويكمل الأخلاق ويعمم المعرفة، وبأنه هو الذي يملك هذا المفتاح السحري لبناء هذه الأمة الوهمية السرابية.

إن مشكلة البشر لا تكمن في البحث عن إمام عادل ولكن في البحث عن نظام عادل. لاحظ قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: 15].

ولم يقل اتّبع من أناب إليّ، فالذي نسي الإنسان أن يبحث عنه هو النظام (السبيل)، أما الفرد فإنه يستطيع القيام بالمهمة ما دام النظام موجوداً ومُعرّفاً، أنظر إلى البادية؛ حمار وطفل يركبه تراه يسوق قطيعاً من الجِمال...

إن مصطلح المستبد الملهم، أو الدكتاتور العادل مصطلح متناقض إذ لا يمكن لاستبداد وعدل أن يجتمعا معاً، كما لا يمكن للماء الآسن والعذب أن يجتمعا في كوب واحد ولو سمّيته عذباً.

7- الطغيان

كان الشاعر أرخيلوخوس(5) أول من استعمل كلمة طغيان أو طاغية، وهي ذات معنى مزدوج يتضمن المسرف الذي يدمر نفسه من الظلم والمعصية، وأيضاً الغلو في الكفر أي الصرف عن طريق الخير لدرجة الحمق أي لا خير فيه لا لنفسه ولا لغيره، وهو نوع من الاستبداد في الحكم، وقد اعتبر الغرب قتل الطاغية واجباً ووضع بعض القوانين للمكافأة على قتله. ولم تكن هذه الكلمة تحمل طابعاً كريهاً حتى جرّب الغرب الطغاة.

إن هذا النوع من الحكم له دستور موجود في مزاج هذا الطاغية، والأساس كله هو الخضوع التام لسلطته، وجعل سائر السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية بيده. لقد اعتبر أفلاطون وأرسطو أن هذا النوع هو أسوأ حكم على وجه الأرض لأنه يقوم على الاغتصاب واغتيال الحاكم. وإذا دققنا

---

(5) شاعر يوناني من القرن السابع قبل الميلاد. أ.د. إمام عبد الفتاح إمام، كتاب الطاغية، عالم المعرفة.

بالمفردات التابعة لمفهوم الطاغية نجد أنه صاحب الجلالة، وليّ النعم، عظيم الشأن، الحاكم المؤبد. وكثيراً ما يتحكّم فيه جنون العظمة.

8- الديموقراطية

يظن بعض الناس أن مصدر الشرور كلها نابع من الجري وراء السلطة، ومنبعث من الجشع والشره والطمع، واندفاع رجال الأحزاب طالبين لأنفسهم الجزء الأوفى من المنافع العامة تحت شعار (الخدمات العامة) التي يتظاهرون بالحرص عليها مستعينين على ذلك بأجمل العبارات اللغوية التي يلقونها في آذان البشر، محمّلين إياها وعوداً كاذبة بالمساواة بين الناس تارة والديموقراطية تارة أخرى، ولا يترددون في استخدام أية وسيلة توصلهم إلى كرسي السلطان (الركوب على رقاب البشر)؛ ولكن الله يقول ما أصابكم من مصيبة فمن عند أنفسكم وبإذن الله وكما قال الشاعر:

لا يُلام الذئب في عدوانه إن يكُ الراعي عدوّ الغنمِ

فإذا كنت أنا جاهلاً وعدوّ نفسي فلماذا ألوم ذئاب الأرض في عدوانها؟ وهكذا يمر الإنسان في حلقة من الطغيان والاستبداد فيغير ويحذف ويغتصب الحقوق ثم يوزعها من جديد، لذا فإننا نرى أن الطغيان قد لبس أخيراً جلد الحمل وأطلق على نفسه اسماً يرضي الإنسان وهو الديموقراطي الذي يشير إلى أن الخيار للشعب، وهكذا ينتقل الشعب من طغيان لآخر ولا يعرف هل خلاصه بيده أم بيد

زعيم آخر. لقد أوهم الديموقراطي الإنسان بأن هناك سلطة عليا لا تفوقها سلطة أخرى ولا تخضع لأحد لأنها تسمو فوق الجميع، وتفرض نفسها على الجميع، وقد خُدع الإنسان بمقولة الانتخابات الحرة التي تختبئ وراءها عصابات الأحزاب المندرجة في إطار التسميات الوطنية والدينية والديموقراطية، والتي يقودها زعماء العصابات الذين يُستأجرون بالمال من أحد طواغيت الأرض في الشبكة الطاغوتية التي تحكم الأرض اليوم والتي تقتتل فيما بينها حيناً آخر.

قال الله على لسان أهل النار: ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [ص: 59- 68].

أخيراً:

لقد أصاب بعضهم عندما قالوا إن الطغاة وحوش بشرية ظهرت عبر التاريخ وحكمت الشعوب بالحديد والنار. إن الحقيقة التي يظهرها الله لنا هي أن الشعب والطاغية كلاهما

كالأنعام بل هم أضلُ سبيلاً، ولذلك نجد الكتاب المقدس يصف بني إسرائيل بأنهم أسوأ من الحيوانات، وقد بين الله في كتبه بأن إجبار الناس على تأدية عمل بحجة الحفاظ على مصلحة الإنسان هو الاستبداد، إذ كرّم الله الإنسان وجعل إرادته فوق كل شيء. ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: 29].

هذه العجالة التي أوردتها تبين أن الهيكل العظمي الفرعوني واحد في الأرض وإن تشعبت يداه وقدماه وبصره ولحمه ودمه.

لقد أوردت هذا البيان التاريخي ليكون مدخلاً إلى مفهوم الطاغوت (الإلّهي) وأسباب وجوده وزواله في الأرض.

الطغيان في القرآن

لقد رسم الله صورة الطغيان في كتبه، وصور الله الطغيان في الأرض على أنه حتمي إذ قال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾ [العلق: 6].

وجعل الطغيان مرده إلى الإنسان ذاته أي أنه مسؤولية الفرد الذي يقوم به وهو نابع منه إذ يقول الله تعالى: ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ۝٢٧﴾ [ق: 27].

ولقد بيّن الله أن الطاغوت موجود بإرادته ورضاه، ولقد حدد آلية زواله بقواعد وشروط تتجلى في مقولتين اثنتين، أولاهما أن الطاغوت يزول باجتنابه وثانيتهما أنه يزول بالكفر به، فإن كلمة اجتنب الطاغوت تعني عدم محاربة الطاغوت أو قتله أو العمل عنده، والكفر بالطاغوت يعني أن يزول الود من قلب الإنسان للطاغوت ولمن يعمل عنده سواء أكانوا آباءً أو أبناءً أو إخواناً أو أزواجاً. يقول الله تعالى: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: 36].

ويقول سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: 17-18].

إن آلية زوال الطاغوت منوطة بنجاحات يحققها الإنسان في الحياة الدنيا، إذ قال الله تعالى لهم البشرى، ووصفهم تعالى بأنهم هداهم الله وبأنهم أولو الألباب، وبأنهم استمسكوا بالعروة الوثقى، وهي صفة أساسية في النواة التي تريد بناء مملكة الله على الأرض، ومن هنا تنبع أهمية تتبع هذا المفهوم في المصحف من ألفه إلى يائه.

لقد ربط الله تعالى بين الكفر وموالاة الطاغوت وجعل مفهوم الإيمان واجتناب الطاغوت مرادفين متتاليين في المصحف إذ قال الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: 257].

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: 19].

﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: 36].

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: 256].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: 76].

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: 76].

هذه الولاية سواء للطاغوت أو لله تعالى ربطها الله بمصير البناء على الأرض أيضاً، إذ إن ولاية الانسان للطاغوت تحدد خروجه من النور إلى الظلمات ومن البناء إلى الهدم، ومن الإيمان إلى الكفر. وولاية الإنسان لله تجعل

الاتجاه معاكساً فيخرج الإنسان الذي يعمه من الظلمات إلى النور وإلى العمل والبناء والأمن والاستقرار. يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة: 257].

﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: 257].

ولقد ربط الله العقل والإيمان والرجس فقال سبحانه: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾﴾ [الحج: 30].

وقال: ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [يونس: 100].

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [الأنعام: 125].

ان هذا الترابط بين اجتناب الرجس واجتناب الطاغوت في دين الله حُرف عن مجراه في الدين لذلك ترى رجال الدين في مجريين اثنين:

إما قابع في أحضان الرجس والطاغوت، أو مقاتل للطاغوت ليكون هو الرجس والطاغوت الجديد بعد أن زيف معنى الجهاد من جهة وزيف معنى الإسلام من جهة أخرى، واختبأ وراء حركة أو تنظيم محرم أصلاً تأسيسه بالدين ولقد أدرك المسيح هذه اللعبة فقال: (انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين) الاصحاح السادس عشر، متّى (6)

فلم يدرك أتباعه ماقال فكرر قوله: (كيف لا تفهمون أني ليس عن الخبز قلت لكم أن تتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين) الاصحاح نفسه.

هل هناك أقوام سابقة احتكمت إلى الطاغوت وما كان مصيرها؟ المصحف مليء بالأمثلة، وسأورد هنا ما حل بثمود إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾﴾ [النجم: 52].

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾ [الحاقة: 4-5].

أيها الناس ألا ترون أنكم تهلكون بطغاة الأرض المتحدين؟

﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: 68].

ويقول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 51].

ولا تزال صورة الطغيان من حال إلى حال، والطاغية يلبس مرة ثوب الداعية ومرة ثوب الديموقراطي وأخرى ثوب السلطات. ولكن فكرة واحدة أُمرنا بها وهي أن نجتنبه سواء بالعمل عنده أو محاربته، وإذا لم نفعل فإن المآل الذي حدده الله ينتظرنا، وإننا في واقع الحال نعيشه اليوم إذ إن معظم شعوب الأرض تحتكم إلى الطاغوت ولا تحتكم إلى الله، ولذلك فإننا نعيش حياة الظلمات، وبصيص النور ما زال

خافتاً غير منير حياتنا. إن إحياء مفهوم اجتناب الطاغوت ضرورة موضوعية الآن لأن الجميع قد أزاحوا الله عن عرشه ووضعوا الطغاة واحتكموا إليهم وعملوا عندهم فحق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾[البقرة: 15].

﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: 110].

والتاريخ ينقلنا ويمدنا من طاغية إلى آخر لعدم معرفتنا آلية مكافحة الطاغوت البسيطة والمتمثلة بـ.

«اجتنبوا الطاغوت»

أي: لا تعمل عنده

أي: لا تقاتله

أي: اصدع عنه وأطع الله

أي: أن الطاغوت ليس هو العدو بل أفراد عائلتك الذين يعملون عنده لذلك قال المسيح احذرهم. ولذلك قال (أعداء الانسان أهل بيته) متّى الإصحاح العاشر (36)

وقال الله: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: 14].

لذلك إذا أراد الطاغوت قتلك فهو لا يأتي إليك بنفسه بل يرسل إليك أفراد عائلتك الذين يعملون عنده وهو الكلب الذي يحوم حول القطيع:

لا يلام الذئبُ في عدوانه   إن يك الراعي عدوّ الغنم.

الظلم والجهل

لم تعمر مملكة الله التي أقامها الرسول الكريم محمّد عليه السلام إلا قليلاً من الزمان ذلك أن قواها تصدعت إثر انقسام المسلمين سُنّة وشيعة في حرب طاحنة، ولا يزال كلاهما غافلاً أنه في مستنقع الضلال وأن طريق الهداية هو مبدأ ابن آدم الذي قال لأخيه لئن بسطت يدك إليّ لتقتلني، ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين.

ورغم مرور ألف وأربعمائة عام لا يزال الإنسان ظلوماً جهولاً، ولا يزال منغمساً بالقتل والضلال لذلك ترى الأمة في مهاوي الجمود والفساد.

وإنك لترى ذلك رؤية العين في بلاد تتجادع أفاعيها سُنّة وشيعة، عرباً وأتراكاً، أكراداً وأفغاناً... إلخ في بلاد يسمّونها بلاد الإسلام هذا السراب المفقود.

إن ظلم البشرية من جهة وجهلها الدين من جهة أخرى وضعاها تحت رحمة طواغيت الأرض المتحدين الذين أتوا إما بالوراثة أو الاكراه أو السطوة الذكية (الديموقراطية) وإن ديمومة طواغيت الارض أدت إلى:

أولاً: انعدام قانون ثابت عادل ومعروف تجتمع عليه

البشرية (القرية الصغيرة) تتحدد فيه واجبات الإنسان ومسؤولياته من جهة وحقوقه في القرية الصغيرة من جهة أخرى.

ثانياً: انعدام حكم نزيه (في القرية الصغيرة) يؤمّن العدالة بين الناس في اختلافاتهم وأنانيتهم الشخصية ويضمن حرية الإنسان وحقوقه في الأرض.

ثالثاً: انعدام سلطة عالمة وقادرة على تنفيذ هذه العدالة المبتغاة بإنصاف ونزاهة وصرامة وعزم.

رابعاً: انعدام العلم وطريقة العمل لإنشاء هذا الحكم النزيه من جهة وكيفية بناء السلطة القادرة على تنفيذ هذه العدالة المبتغاة من جهة أخرى.

ولذلك ترى المجتمعات تبحث عن حل للخروج من هذا المستنقع الذي تعيش فيه البشرية، فتراها تستخدم الإرهاب وسيلة مقلدة الطاغوت ولا تتبع أسلوب الأنبياء لأنها لم تدرك طريقهم ونسي بعضها أن هذا العالم (القرية الصغيرة) مستنقع واحد، فراحوا يقارنون بين طواغيت الأرض أيهم أرحم وأيهم أعدل بعد أن نسوا أنهم طواغيت ورجس. لما حاول فرعون أن يمارس هذه اللعبة مع موسى وهارون قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء: 22].

ولكي نلقي الضوء على ظلم البشرية وجهلها الدين نبدأ

بالقول إن اليهود رفضوا المسيح عليه السلام ولم يتَّبعوا موسى بل ينتظرون مسيحاً مجهولاً لا وجود له، ولم يتبعوا نوحاً أو إبراهيم عليهما السلام كما أنهم في الوقت نفسه يرفضون محمد عليه السلام.

والذين يدّعون أنهم أتباع المسيح (النصارى) تجدهم لا يتبعون المسيح الذي قال في الإصحاح التاسع عشر من كتاب لوقا في الآية (27) (أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي) بل على العكس بات أتباع المسيح أولياء لأعدائه الذين رفضوه وفي الوقت نفسه فهم لم يتبعوا نوحاً أو إبراهيم أو موسى عليهم السلام، ورفضوا محمداً عليه السلام من دون أن يدركوا من هو أو ما هو الدين الذي جاء به محمد عليه السلام.

وأتباع محمد عليه السلام (المسلمون) يبحثون عن دين كان قبل 1400 سنه لإحيائه من جديد، وهم لا يدركون ماهية هذا الدين في الوقت نفسه، وتراهم يبحثون عنه ما بين جاهلية يرزح تحتها الطواغيت وديموقراطية سرابية مزخرفة ومزينة ضلّوا منشأها. وما حكومة طالبان في أفغانستان أو حكومة إيران (الإسلامية) إلا دليل على ما نقول، والجميع يرفعون شعار (الإسلام هو الحل) من دون أن يدركوا ماهو الإسلام، فإذا سألت أي مسلم ماهي أركان الإسلام يقول لك بكل صراحة وبساطة الشهادة والصلاة والصوم والحج

والزكاة، كما ينادي أئمتهم من على منابرهم في كل جمعة (الصلاة عماد الدين من أقامها أقام الدين).

فالصلاة تقام خمس مرات في اليوم في كل مكان من الأرض، لكنّ الدين غير قائم في بقعة من بقاع الأرض (القرية الصغيرة)، فكيف لم يستطع عماد الدين حل مشاكل الإنسان؟

والواقع شاهد على ما أقول وكفى بالله شاهداً ورقيباً. فإذا سألت أي مسلم عن أي دليل على أن هذه هي أركان الإسلام في المصحف الشريف تدرك حينئذٍ مدى ضلال المسلمين الذين يدّعون أنهم أتباع محمد عليه السلام، فهم يتبعون أمراً والمصحف الذي يحملونه أمر آخر وهو شاهد عليهم في الوقت الذي يظنون أنه شاهد لهم.

فأركان الإسلام الموجودة في المصحف إنما يقرؤونها ولا يعقلونها ولا يؤمنون بها، حتى أنني أستطيع أن أقول إنهم لا يعلمون ما هي.

إن هذا الموضوع موضوع الدين معقد لسببين:

الأول: أن البشرية مع هذا التقسيم الثلاثي (مسيحي مسلم يهودي) ينقسم أفرادها أيضاً بين علمانيين ومتدينين. فهناك متدين يجهل دينه ويدعي أنه يؤمن به، وعلماني منقسم على ذاته بين يميني ويساري، ومتحرر ومحافظ لا يدري دينه أيضاً.

الثاني: أن الدين يبحث في خمسة مواضيع يجهلها الذين يدعون أنهم يمثلون هذا الدين وهم منقسمون أيضاً على أنفسهم. فإذا سألت على سبيل المثال أي مسلم في الأرض عن المصحف، والمواضيع التي يبحثها هذا المصحف الذي يدعي أنه يومن به، لا تجد إجابة واحدة مشتركه بين المسلمين، فماذا سيعلم المسلم عن الدين وهو نفسه يجهل دينه الذي يدّعي أنه ينتمي إليه؟

وكيف تؤمن بأمر لا تدري ما هو؟

إن المسلمين اليوم يدعون أنهم يؤمنون بدين يحملونه على ظهورهم ولا يدرون ماهو ثم ينادون بأن (الإسلام هو الحل) وفي الوقت نفسه فإن المسلم يؤمن بعكس ما يحمله على ظهره والمدون بالمصحف الشريف.

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي: «نحن لو نظرنا إلى العالم الآن نجد أننا محسوبون على أننا مسلمون يسموننا مجتمعاً إسلامياً نحن في الواقع لسنا مجتمعاً إسلامياً»[6].

ثم يتابع قوله: «إذن ما هو السبيل إلى مجتمع إسلامي؟ ماذا نفعل؟ الحل أن تعرف طبيعة دينك».

إذاً وباعتراف خطي من أكبر (علماء المسلمين) نحن لا نعرف ديننا.

---

(6) هذا هو الإسلام، محمد متولي الشعراوي، الدار المصرية للنشر والتوزيع، كتاب الحرية-1، ص43.

هذا أول خيط من خيوط الفجر. لقد بدأ بعض أئمة المسلمين يدركون أنهم ضلّوا سواء السبيل ولكنهم لم يدركوا أن السبيل الذي يبحثون عنه مسدود أمامهم لأنهم لم يدركوا قول المولى سبحانه: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد: 33].

إذا أردنا أن نعلّم أطفالاً الكلام باللغة العربية نبدأ أولاً بتعريف الكلام فنقول إن الكلام[7] هو:

1- لفظ

2- مركّب

3- مفيد بالوضع

4- أقسامه ثلاثة اسم وفعل وحرف

5- يحمل معنى

6- تتغير أواخره لما يدخل عليها لفظاً وتقديراً ونسمي ذلك الإعراب وعلاماته أربع الرفع والنصب والخفض والجزم.

فأما الرفع فله أربع علامات الضمة والواو والألف والنون، وأما الضمة فتكون علامة للرفع في أربعة مواضع:

الاسم والمفرد والفعل المضارع الذي لم يتصل بآخره شيء وجمع الـ. . . إلخ.

---

(7) متن الأجرومية لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم مكتبة مصطفى البابي الحلبي بمصر.

غير أن الطفل الذي نريد تعليمه اللغة العربية لا يفقه شيئاً مما نقول، فنعود أدراجنا لنعلّمه ماهو اللفظ ونبدأ بتعليمه الحروف التي تعلّم من أمه لفظها فنرسمها له، ونعلّمه رسمها ولفظها مرة ثانية، ثم بعد ذلك نعلّمه تركيب الحروف وأن لكل وضع فائدة، ثم نعلّمه أقسام الكلام ثم نعلّمه كيف يحمل الكلام المعنى ثم نعلّمه تمييز الاسم من الفعل والحرف ثم ننتقل إلى الإعراب، هذه العملية تستغرق أكثر من خمس عشرة سنة من حياة الطفل يتداخل فيها تعليم الأم والمدرسة، فالطفل يكبر ويتخرج في المدرسة وهو لم يتقن بعد ما هي اللغة، ولا تنْسَ أن اللغة مادة واحدة تبحث في موضوع واحد هو الكلام، أما الدين فهو تداخل خمسة مواضيع وهي:

1- الله
2- الإنسان
3- كتب الله
4- خلق الله
5- سنت الله

كما أنه ليس بإمكان الطفل الذي تريد تعليمه اللغة أن يدرك منهاج اللغة وهو يتعلم الحروف، كذلك الحال هنا إذ لا يمكن للإنسان أن يدرك المنهج الذي يريد المعلم أن يتبعه في الدين وهو يتعلم حروف الدين، ولكن نعرف أركان الإسلام فنقول خلافاً لما يدعي أئمة الدين بحسب قول الله

سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: 33].

وأقول ذلك لأن هناك تناقضاً هائلاً بين تعريف المصحف لأركان الإسلام وتعريف الإمام.

فأركان الإسلام هي:

1 - تحريم الفواحش ما ظهر منها وما بطن

2 - تحريم الإثم

3 - تحريم البغي بغير الحق

4 - تحريم الشرك بالله ما لم يُنزّل به سلطاناً

5 - تحريم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون

فهذه هي أركان الإسلام وليس ما يدّعيه أئمة علماء السلطان ولكن ما هو المنهج ومن أين نبدأ؟

لو نظرنا إلى أنبياء الله ورسله لوجدنا أن دينهم واحد بدليل قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: 13].

إذاً دين الأنبياء يقوم على أمرين اثنين:

1 - إقامة الدين

2 - لا تتفرّقوا فيه

انظر لما قاله المسيح عليه السلام: (لا تظنوا أني جئت

لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لأكمل)،
متّى الاصحاح الخامس (17)

ثم انظر إلى الذين يدّعون أنهم يتبعون أنبياء الله ورسله، فالدين غير قائم في أي مكان من الأرض وهم متفرقون فيه، السني والشيعي والشافعي والحنبلي والصوفي. . . إلخ.

وفي الوقت نفسه يدّعون أنهم أتباع رسل الله.

وإذا نظرنا بدقة إلى رسل الله لوجدناهم على صراط واحد «صراط الذين أنعم الله عليهم».

إن دين الله واضح في المصحف وهو الصراط الذي تمسك به الأنبياء ولقد أمرنا الله أن نقتفي آثار أنبيائه لبناء مملكته، ولذلك يعتبر العنصر البشري (النواة) من أهم شروط تحقق الدين وبناء المجتمع لذلك فإن:

1 ـ الطور الأول والأساس لبناء هذا المجتمع هو بناء (النواة) الفرد الذي هو اللبنة الأساسية لبناء المجتمع الإسلامي (المستجيب) المفقود في الأرض والذي يعمل لإقامة هذا الدين ويرفض أن يتفرّق فيه في شيع وأحزاب وطائفية وقطرية. لذلك ترى الأنبياء يقولون أليس منكم رجل رشيد.

2 - وجود الالفة والوئام ثم وحدة الهدف الذي تعيش من أجله هذه اللبنة أو النواة.

3 - بناء الأسرة وما هو الذي يجمع هذه الأسرة.

«الكفر بالطاغوت وإطاعة الله»

4 - لتحقق النواة (الإنسان المستجيب) الغرض الذي وجد من أجله على هذا الكوكب.

5 - إنشاء مملكة الله (إقامة الدين وعدم التفرق فيه) وإدراك مساري الله والطاغوت.

6 - إدراك النواة أن الله الذي خلق الإنسان أعطاه الحرية في اختيار أحد مساري الله والطاغوت.

7 - إدراك النواة أن الله الذي خلق الإنسان أمره بالصدع عن الذين اختاروا مسار الطاغوت وقال المسيح عن الذين اختاروا مسار الطاغوت: (لاتعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم)، متّى الاصحاح السابع (6).

وقال الله: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: 94].

8 - إدراك النواة سعي الدنيا وسعي الآخرة لذلك قال المسيح: (لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم) متى الاصحاح السادس (33).

9 - إدراك النواة ماهية السجود.

10 - إدراك النواة التمييز بين السجود الطوعي والسجود الكرهي لله سبحانه .

إن الله سبحانه وتعالى قد استخلف الإنسان على الأرض ليعمرها لذلك قال: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾ [هود: 61].

وهذا الاستخلاف هو شرف كبير لتكون صورة الله على الأرض فالله عدل ويحب أن يرى العدل قائماً في الأرض، فالله رحيم ويحب أن يرى آثار رحمته في الأرض لبناء مملكة آمنة لا تسفك فيها الدماء وتحفظ فيها حقوق الإنسان من حقوق الملكية والحرية والحياة بكرامة على الأرض وليستطيع الإنسان من خلالها تجاوز حالة الملائكة، إن الإنسان الفرد هو النواة التي عليها أن تبني هذه المملكة، وكما وضع شروط المملكة وشرعها وضع أيضاً شروط النواة التي تبني ووضع شروط الفرد الذي سيحمل هذه المسؤولية.

إن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي ينتج التاريخ والعلم والفن، والله هو الذي أعطى هذا المخلوق هذا العلم، إذ علّم الإنسان ما لم يعلم أي أنه المخلوق الوحيد القادر على إنجاز وإتمام مملكة الله التي بدأها الأنبياء، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يرتقي سُلّم التطور الاجتماعي والحضاري فهو انتقل من مرحلة الكهوف إلى إنشاء مراصد للفضاء وإلى غزوه والجلوس على أقمار كانت مستحيلة. لقد فكّ الإنسان بواسطة العلم المستحيلات وجعلها إمكانيات قابلة للتحقق وهذا هو معنى «سخّر لكم». إن هذا الإنسان الذي لديه هذا البعد الحضاري وقابلية البناء هو ذاته الذي قد يهدم بيديه ما بنته أجيال، ولقد تعددت المقولات الاجتماعية والانتروبولوجية التي تحكي لنا قصة الإنسان وتطوره وارتقائه وكيفية بنائه للمجتمع والدولة، وكتب التاريخ

ملأى بذلك ولكن كيف حدّثنا الله عن هذا الإنسان النواة (الباني) لمملكته؟ ما هي الشروط التي وضعها لتكون هذه النواة قادرة على إنجاز أحجار البناء وإتمامها.

لقد أرسل الله الرسل إلى بني الإنسان ليعلّموه الطريق التي سيسير عليها وليطوروا من إمكانياته وأدواته، وعلم الأنبياء الأسس، التي يقول عنها الله تعالى إنها الحلال والحرام وهي بمثابة البوصلة التي توصل إلى الاتجاه الصحيح، وإذا اختلطت المفاهيم والأسس فإن أساس البناء سيتخلخل والمملكة ستتقوض على ساكنيها.

لعل الكثيرين يتفقون على أن أساس بناء المملكة هو الحلال والحرام، ولكن الاختلاف قد يأتي من تحديد المفهومين، فبعضهم يزيد أو ينقص حسب اللحظة التاريخية والمصلحة الفردية، وحسب مستوى الفهم، والله قد حدد الحلال والحرام بخمس قواعد هي:

1- اجتنبوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وجعل الصلاة فرضاً لتنهى عن الفحشاء.

2- حرّم الإثم.

3- حرّم البغي بغير الحق.

4- حرّم أن تشركوا بالله ما لم يُنزّل به سلطاناً.

5- حرّم أن تقولوا على الله ما لا تعلمون.

هذه الأسس الخمسة المتواشجة حرّمها الله على الإنسان ونهى عن أن تكون إحداها قواعد بناء لمملكته. وسأحاول

بالتفصيل شرح كل أساس من الأسس الخمسة الآنفة الذكر، حيث أن الطغيان يبدأ عندما تنتهك إحدى هذه الكبائر الخمس، ثم يثمر الطغيان بإلحاق الأذى بالآخرين.

أي أنه إذا رأيت في الأرض إلحاق الأذى بالآخرين فاعلم أن الكبائر قد انتهكت وهذا ما عبر عنه الله سبحانه بقوله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝١٥﴾ [الرعد: 15].

وعبر عنه المسيح عليه السلام بقوله «من ثمارهم تعرفونهم».

منهاج بناء النواة

يبدأ بناء النواة بإدراكها أن للناس ملكاً واحداً ينتمي الإنسان إليه وهو الإلّه الواحد، وأن هذا الملك هو الملك الحق وأن كل ما يسميه البشر ملكاً إنما هو ملك باطل، وأن الملك الحق هو الله وأن هذا الملك الإلّه الحق هو الله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور، وهو بالناس رؤوف رحيم، وأن هذا الملك الحق الرؤوف الرحيم الرحمن هو الذي خلق الإنسان وهو الذي علمه البيان ولقد أخذ الملك الحق من آدم وذريته عهداً.

﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الاسراء: 2].

ولكن الذين كفروا بربهم يعدلون والملك الباطل (الطاغوت) والذي يحكم الأرض اليوم لم يخلق شيئاً وضرب الملك الحق للناس مثلاً.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: 73-74].

هذا الإلّه الملك الحق القوي العزيز الذي يسجد له من في السماوات والأرض طوعاً وكرهاً، والذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخّر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى، يدبّر الأمر ويفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون، وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار هذا الإلّه لا يرضى أن يجعل الإنسان له شريكاً، وهكذا يستمر تعليم النواة بهذا الإلّه الحق ثم يبدأ إدراك النواة لواقع تعيشه بين ملك حق وملك باطل (طاغوت) ويهدي الله الملك الحق النواة كيفية التعامل مع هذا الواقع، بعد أن تحدد النواة لمن يكون ولاؤها، للملك الحق أم للملك الباطل (الطاغوت).

وهذا هو تكريم الإلّه للإنسان بهذا الخيار وهذه الحرية، ويكذب الطاغوت على البشر ويقول إنه هو الذي أعطاهم هذه الحرية وهذا كذب وافتراء، فالطاغوت يسلب الحرية ولا يعطيها أبداً، والتاريخ يشهد من جهة والواقع من جهة أخرى وكفى بالله شهيداً. ثم يمنّون على البشر أنهم لا يسلبونهم إياها أحياناً أخرى.

ثم يهدي الله النواة إلى أن المال لا يغيّر شيئاً فيقول: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: 63].

ثم يحدد مهام النواة فيقول: ﴿لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: 84].

لأنه ليس الذي يصلح النواة هو المواعظ التي تحث على الفضيلة أو العقاب، بل إن ما يصلحها هو ما للقدوة الحسنة من قوة صامتة.

وهكذا تتعلم النواة أن سنن الملك الحق وقوانينه لا تتبدل ولا تتغير، وأن هذا الطاغوت موجود بإرادة الله وأن زواله أيضاً بإذن من الملك الحق ملك الناس إلَه الناس، وأن لزواله وبقائه سُنَناً وقوانين، وأن الملك الباطل (الطاغوت) موجود مادام ولاء البشر قائماً في نفوسهم لذلك قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾﴾ [الرعد: 11].

أي أنه ليس بإمكانك أن تملأ الكوب بالماء إن لم يخرج ما بداخله من هواء وبعد أن تدرك النواة معنى لا تكلف إلا نفسك، وتدرك أمر الله لرسله وأنبيائه أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، ثم تدرك أن الله شرع من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أُوحي لمحمد وما وصّى به إبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعاً السلام.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: 13].

يبدأ الأسلوب القرآني تبيان الهداية للنفس البشرية إلى

نجدين اثنين إما الفجور وإما التقوى، إما بالشكر لصاحب الشكر أو بالكفر والتغطية، وهكذا تتكشف للنفس أنها بما كسبت رهينة وهكذا يتم إحياء النفس بعد موتها لتصبح نفساً لوّامة يقظة لا تترك ماهو مأمور وتبتعد عن حدود الله كي لا تقع في فعل محذور، فتراها تلذع صاحبها لذعاً وهي لصاحبها بالمرصاد لترتقي به إلى شاطئ الأمان، انظر كيف أدرك الشاعر ذلك حيث قال:

نفسي إلى ما ضرني داعي   تهيج آلامي وأوجاعي
كيف احتيالي من عدوّي إذا   كان عدوّي بين أضلاعي

وهكذا تتغذى النفس بكلمات الله سبحانه، انظر إلى قول المسيح عليه السلام وهو يستشهد بكتاب موسى حيث يقول ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، بل بكل كلمة من كلمات الله ويقول القرآن ألا بذكر الله تطمئن القلوب.

ولذلك قال سبحانه: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122].

تحيا النفس فتحاسب ذاتها قبل أن تحاسب، وتزن أعمالها قبل أن توزن لها، فهي في توازن دقيق تحذر الآخرة وترجو رحمة ربها، ولكنها لا تيأس من روح الله فهي تدرك أنها من الله وعائدة إليه تارة أخرى، وهكذا تتم هداية النفس إلى دلائل الآفاق من حولها فتجلو غواشي الهوى، فتبصر الحق في الصورة السليمة الصحيحة وترى قطبي الطاعة

والمعصية بوضوح لا غبش فيه ولا شبهة وتبقى بالمرصاد تكوي باللذع صاحبها.

ويبدأ تعليم النواة بالسجود:

ادخلوا الباب سُجّداً نغفر لكم خطاياكم أي إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيّئاتكم، وهذا هو السجود، ثم تتعلم النواة أن مملكة الله لا تقوم بالاكراه حيث لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى، وأن مملكة الطاغوت قائمة على الإكراه والارهاب ثم يبين الله الفرق بين الرشد والغي، وبين طريق الإرهاب والاكراه (الثورات) والحروب التي يتبعها الطغاة والمغضوب عليهم والضالون، وبين الطريق الطوعي الذي لا إكراه فيه صراط الذين أنعم الله عليهم، يعملون لبناء مملكة الله لا يكلفون فيها إلا أنفسهم، ثم تبدأ النواة بإدراك أن الذين كفروا وليّهم الطاغوت وأن الذين آمنوا وليّهم الله الملك الحق ملك الناس إلّه الناس الرؤوف الرحيم الرحمن القوي العزيز المعز المذل، وأن مسار الذين كفروا من النور إلى الظلمات، وأن مسار الذين آمنوا من الظلمات إلى النور.

وهكذا يستمر بناء النواة وتعليمها حتى تصبح قادرة على تعليم ما تعلمته هي لنواة أخرى، وكلما تعلمت شيئاً كانت الممارسة ابتلاء وامتحاناً لها، فعندما لا تطبق النواة ما تعلمته

تسقط بالامتحان فيلازم الشيطان النواة ويستمر تعليم النواة الطائعة أركان الدين التي هي:

1 - حرّم الله البغي بغير الحق

2 - حرّم الله الفواحش ما ظهر منها وما بطن

3 - حرّم الله الإثم

4 - حرّم الله الشرك ما لم يُنزِّلْ به سلطاناً

5 - حرّم الله أن تقول على الله ما لا تعلم

ثم تتعلم النواة شروط التقوى ومن هم المتقون ومن هم أولو الألباب ومن هم المهتدون ومن هم الذين أسلموا ومن هم الذين آمنوا ومن هم الذين ضلوا والذين كفروا والفاسقون وما هو الطغيان ومن هم الطاغون وكلما اتسعت الرؤيا ضاقت العبارة واتسع البلاء وكبر الجزاء.

فالنواة جادة لأن لديها عملاً تحرص على أدائه، ولا تبالي أن يفتري عليها الناس بألسنة حداد، ولا تكيل المدح جزافاً، ولا تسعى لكسب رضى من هم أعلى منها منزلة، وهي جادة في سلوكها تتريث في أقوالها، وإذا رأت أتقى الناس فكرت في أن تكون مثلهم وإذا رأت أسفههم عادت إلى نفسها تتقصى حقيقة حالها.

الإسلام

إن الإنسان الذي استجاب (المسلم) هو النواة التي ستبني مملكة الله على الأرض، وعلى عاتقه تقع المسؤولية الكبرى، لا أحد يختلف على ذلك، ولكن الاختلاف حول من هو المسلم، ما هي هويته وصفاته، ومن هم المسلمون حقاً... اختلفت الآراء حول المسلم وأُلصِقت به صفات لم يتفق عليها الجميع، ولذلك أجد أنه من الأجدى أن نعود إلى كتاب الله لنعرف من هم المسلمون... يقول الله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [آل عمران: 67].

قال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ مستجيباً [يوسف: 101].

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: 130-133]مستجيبون.

قال عيسى عليه السلام:

﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ مستجيبون [آل عمران: 52].

قال المسيح عليه السلام: (طعامي أن أعمل مشيئة الذي أرسلني وأتمم عمله) الاستجابة، يوحنّا، الاصحاح الرابع (35)

﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ﴾ استجبتم [آل عمران: 20].

قال نوح عليه السلام:

﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾﴾ المستجيبين [يونس: 72].

﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ المستجيبين [الحج: 78].

بعد هذه الآيات جميعاً نرى بأن الإسلام كتسمية قد جاء

من أبينا إبراهيم، ولقد نهج منهج الإسلام (الاستجابة) جميع الأنبياء، وليس الإسلام هو الدين الجديد الذي جاء به النبي محمد ﷺ، ولكنه الدين الذي استجاب له إبراهيم عليه السلام والأنبياء. ولكن ما هي صفات المسلم، هل هو الإنسان الذي يطبق أركان الإسلام الخمسة كما يقول الأئمة أم هو مفهوم آخر. للإجابة عن هذا السؤال نرجع إلى الله كيف يعرف الإسلام. يقول الله سبحانه وتعالى:

* ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [القمان: 22].

* ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟﴾ [الحج: 34].

* ﴿وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: 54].

* ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: 85].

* ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: 64].

* ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: 84].

* ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: 65].

* ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ﴿١٤﴾﴾ [الجن: 14].

من خلال هذه اللقطات من المصحف الشريف نرى بأن تعريف المسلم هو الذي يستجيب (يسلم) لله ويقول تعالى إن عاقبة الاستجابة والتسليم هي التحرر من كل قيد آخر في الأرض، ويصف الله الذين تحرروا من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد والتسليم له بأنهم راشدون. ولذلك فإن معنى الآية: أليس منكم رجل رشيد هو أليس منكم رجل مستجيب لقانون الله ومسلم له ومطيع بدليل:

﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الرعد: 18].

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: 36].

﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: 186].

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [القصص: 50].

﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: 47].

فالإسلام هو الاستجابة
فإذا نودي للصلاة استجاب
وإذا نودي للحجّ استجاب
وإذا أمر بالصوم صام
وإذا أمر بالزكاة أدّاها

ولكن هذا هو جزء صغير من الدين وليس هو أركان الإسلام كما بينا وإن ترك الإنسان إحداها فهذا يُسمّى إثماً.

وكما بيّنا فإن تحريم الإثم ركن من أركان الإسلام والصلاة تساعد على تحريم الفاحشة لذلك لابد للمسلمين (المستجيبين) إذا أرادوا الخروج من كهوف التخلف السياسي والفكري، أن يخرجوا من كهوف الدين المزيف الذي يحملونه (بمعتقداتهم) ليكون مطابقاً للدين الحق المدون معهم، وهذا لايكون إلا كما قال الله سبحانه: ﴿وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ﴾ [لقمان: 15].

ولماذا المنيب؟ لأنه هو الذي هداه الله وهو الذي يعود إلى الله في كل صغيرة وكبيرة. ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣﴾ [الشورى: 13].

الاستجابة لما قال الله سبحانه: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: 4].

فمن من المسلمين اليوم استجاب وكان ابراهيم له اسوة حسنة؟

إن غياب مفهوم التعريف القرآني للكلمة خلط الأوراق من جهة، وأربك المفهوم السليم للدين بأكمله مما جعل المسلمين يواجهون تحديات قديمة ومعاصرة فكراً وسياسة، فترسخت بالفكر الإسلامي مفاهيم مخالفة للدين في وعي

المسلمين الفكري والثقافي، مما جعل الفكر الإسلامي فكراً مزيّفاً لا يتصل بالمصحف الشريف بأية صلة، بل أضحى مناقضاً ومخالفاً تماماً له فأصبحت التحديات والتهديدات حقيقة ملازمة، وصار الدمار والذل ملازمين كلّ بلد يدعي أنه إسلامي، وباتت الجهود المبذولة للخروج من هذا المستنقع لا تتعدى كونها زوبعة في فنجان، فكلما دخلوا تيهاً وحسبوا أنهم وصلوا إلى آخره رأيتهم مرة أخرى في بدايته، وما هي إلا محاولات فاشلة لأنها لا تعالج الأسباب الحقيقية للمشكلة، والمفكرون ومعهم الذين يبحثون في هذا الدين بدأوا يدركون أن هناك مشكلة ولكن لا يدرون ما هي، ولا يدركون كيف السبيل لمعالجة هذا الوضع القائم اليوم والذي طال أمده، فيتجهون إلى التطرف من جهة وتراهم يقلدون طواغيت الأرض بالارهاب من جهة أخرى بعد أن ضلّوا سواء السبيل وهم يقولون إن الإسلام هو الحل، مع أن الإسلام غير قائم في أي بلد من بلاد المسلمين ولا وجود له في نفوسهم وفاقد الشيء لايعطيه، كالذي يبحث عن ماء في سراب. فأصبحت المذهبية والقطرية والقومية أكثر تأثيراً من الانتماء إلى الذي خلق الأرض، أي أن المسلم لا ينتمي إلى الذي خلقه بل إلى القطيع الذي نسبوه إليه، فيا لها من سخرية إذ يحمل المسلم جوهرة في يده وهو يبحث عن بعر الجمل.

إن الديموقراطية التي يبحث عنها الإنسان هي بعر جمل،

يُسأل فيها (في دولة الديموقراطية) الحمار (الإنسان) من سيركب على ظهرك أحزب الإخوان أم حزب العفاريت؟ فيذهب الحمار المسكين إلى الانتخابات ويقول: أركبوا على ظهري حزب البطيخ. ثم يعيد الكرة بعد بضع سنين، ثم ينادي الحزب الذي لم يركب بعد على ظهر الحمار المسكين إنه لابد من خطوات الاصلاح...

ولأن الدين يرفض القومية والقطرية والمذهبية لذلك ترى كل المحاولات ضائعة والطواغيت متحكمين مالكين، وقد تخلت الحكمة عن أصحابها وأصبح الدين الواحد تعددية دينية يؤمن بها البشر، وراح كل واحد يقتطف آية من سياقها كالذي يقول ويل للمصلّين.

وأصبح علماء السلطان كل يعطي رأيه على أنه الشريعة والحياة من خلال برامج بهلوانية تراها كل أسبوع على الفضاء، والناس لايدرون من المسؤول أهم علماء السلطان أم طواغيت الأرض؟

أم المستعمر المحتل؟

والمفكرون يكتبون الكتب منذ مئات السنين.

إحياء علوم الدين

والله يقول: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: 165].

عيون لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها إن هم كالأنعام بل هم أضلّ سبيلاً.

إن الله تعالى قد أنزل ديناً واحداً لا أدياناً، والله لا يغيّر دينه ولكنه جعل لكل ظرف ومرحلة منهاجاً مختلفاً يتوافق والشرط الموضوعي الذي أتى فيه، ولو كان دين عيسى النصرانية لما قبله الله، ولكن دين عيسى هو الإسلام والمنهج الذي نهجه هو الإستجابة، انظر إليه يقول في كل حين أفعل ما يرضيه، وكذلك موسى والأنبياء جميعاً، لقد جعل الله لكل شرعة منهاجاً مختلفاً، ولكنّ الدين واحد له قوام واحد وجوهر ثابت هو التسليم والطاعة لما يأمر به الله والاستجابة له.

وإذا عدنا إلى شروط كلمة السواء بين أهل الكتاب وغيرهم نلاحظ ملامح في تفسير المسلم إذ يضع الله تعالى الشروط الآتية:

شروط كلمة السواء

1- ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً.

2- لا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله.

هذه الشروط إذا لم ينفّذها أهل الكتاب فإن الله يأمرنا باجتنابهم، وقولنا بأننا مسلمون لله هو وفق هذه الشروط، فإذا عدنا ودققنا في الشروط نجد أنها تقع ضمن إطار الشعار الذي أتى به الأنبياء: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾.

إن جوهر الإسلام هو الانصياع لله بالعبادة وعدم الشرك، وأن لا يكون الملك، الرئيس، الحزب، أو أية سلطة أخرى من دون الله هي المرجعية للإنسان.

إن الله قد وضع منهجاً قوامه جملة "أن لا إلّه إلا الله" والاستجابة لهذا المفهوم بمعناه العميق غير السطحي الذي يردده الإنسان خمس مرات في اليوم من دون تفكّر. إن الاستجابة بأن هناك إلّهاً واحداً يحكم الوجود وليس هناك قوة أخرى في العالم مهما كبرت تخضعني لها، هو الإسلام والحرية التي ينشدها الإنسان العاقل الرشيد، وإن الاعتصام بهذا الحبل المتين (حبل الله) هو الاستجابة له، هذا الحبل الذي قوامه معرفة دين الله (الإسلام) المختصر في عبارة ﴿اَعۡبُدُواْ اَللَّهَ وَاَجۡتَنِبُواْ اَلطَّٰغُوتَۖ﴾ أي لا إلّه إلا الله بتعبير آخر.

ولذلك فإن النواة (المسلمة) تعرف ذلك تماماً وهي تنفذ قطبي المعادلة ولا تتخذ أرباباً من دون الله ولا تشرك به قوة أخرى في الكون مهما عظمت، ولكنّ هنا سؤالاً يطرح نفسه؟

إن الله قد جعل الوجود وفق قطبين وجعل الإنسان متأرجحاً بين هذين القطبين، وهما:

الله **الطاغوت**

والإنسان مخيّر إما أن يعبد الله أو أن يعبد الطاغوت، فإن استجاب لله فهو مسلم حر، وإن استجاب للطاغوت فهو غير مسلم ومستعبد من قبل كائن آخر يشبهه، والإشكالية التي

وقع فيها بعض الذين يدّعون الإسلام، هي كيف يتعاملون مع القطب الآخر الذي يدعي لنفسه الألوهية والربوبية على الأرض.

ما هو السلاح الذي يجب أن يستخدم ضد هذا القطب الآخر، هل هو القتل، أم الاجتناب والطاعة لله؟ لنرَ ما يقول الله سبحانه وتعالى:

"اعبدوا الله ⟸ واجتنبوا الطاغوت".

وكما أسلفنا كان إبراهيم أسوة حسنة حيث قال لقومه: إنا براء منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدت بيننا وبينكم العداوة والبغضاء حتى تؤمنوا بالله وحده.

ولهذا السبب ترى الطاغوت يحمل شعار نؤمن بالله بعد أن زيّف دين الله يعينه على ذلك رجل الدين (الامام) الجالس في حضن أحد طواغيت الأرض.

ولذلك ترى الوصف الدقيق كيف سيتبرأ الامام من الذين كان يؤمّهم حيث يقول المولى سبحانه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة: 166-167].

إن الله قد حدد منهجية التعامل مع الطاغوت وهي (اجتنبوا) ولم يستعمل كلمة أخرى، ولذلك فلا يجوز لمسلم قتل الطاغوت، كما أنه لا يجوز له العمل عنده أو الانخراط

في صفوفه أو جيشه، فإن كلمة اجتنب هي أن يكون الله في جانب والطاغوت في جانب آخر، وأن لا يخلط الإنسان بينهما، فالاجتناب يعني ما تفعله نقطة الزيت في الماء وهو عدم الاختلاط نهائياً مع الطاغوت ولهذا حكمة. إن الله يقول إن المسلم حين يجتنب الطاغوت ولا يختلط به ولا يقاتله فإنه سيسقط من تلقاء نفسه، وهذا مارأيناه في قصة موسى وفرعون، ففرعون سقط من تلقاء نفسه ولم يحاربه موسى.

وكذلك أمر المولى سبحانه نبيه محمداً عليه السلام فقال له: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: 94].

اصدع أي انشق عنه وعن كل من يعمل عنده من أهلك لأن مسار الطاغوت مخالف لمسار إله الناس ملك الناس.

إن النواة المسلمة تدرك هذا تماماً وتدرك بأن هناك ثلاث فئات من البشر تتحرك بين قطبي الله والطاغوت:

1- الفئة المعتزلة المجتنبة العابدة لله، المسلمة لأمره والمستجيبة له التي استجابت وصدعت وانشقت (الساجد لله طوعاً).

2- الفئة التي تظن بأن السيف والمنسف في يد الطاغوت وبأن الإنسان البسيط لا سلاح له ولا حول له ولا قوة إلا الخضوع لمالك السيف والمنسف، فلذلك تعمل عنده وتؤدلج مفاهيمه وتريد أن تجمع بين الله والطاغوت (تمسح الجوخ للطاغوت) (المستضعف).

3- الفئة التي تريد قتل الطاغوت لتكون هي الطاغوت في الأرض وتمارس شريعته (المستكبر)، والمشكلة التي يواجهها طواغيت الأرض اليوم أنهم يريدون أن يركبوا على رقاب عباد الله المخلصين والله يقول: ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ [الكهف: 102].

لذلك ترى طواغيت الأرض تنادي بالمصالحة الوطنية.

إن الإنسان المسلم، وهو المنيب الذي يعود إلى الله في كل صغيرة وكبيرة يبحث خائفاً وجلاً عما أمر الله ويستجيب له في كل شيء، ويجعل قانون الله فوق كل قانون، وتكون حياته ومماته لله وحده. ولذلك فإن النواة المسلمة (التي تحررت رشداً) تنظر من منظار مختلف إلى الناس، وهي تقسم الناس كما قسمهم الله، وهي تعلم أن من الناس من يقولون آمنا وليسوا بمؤمنين، وتعلم بأن الله قد عرّف هؤلاء بالمفسدين، ولذلك ترى الناس إما مستجيبين مصلحين وإما غير مستجيبين فاسدين، وهذه النواة تعلم الفروق الدقيقة بين المجاهد والصابر والمقاتل، وتعلم ماذا قال الحق عن كل واحد منهم وتعطي لكلٍ دوره.

إن هذه النواة (المسلمة الساجدة التي تتجنب الكبائر) تعلم الفرق جيداً بين حسن المآب ومتاع الغرور، وهي تستجيب لما أمرها الله ولشروط حسن المآب، وتعمل فقط لإرضاء ربها.

إن طلب حسن المآب يعطيك (الدنيا والآخرة) كليهما وأما متاع الغرور فإنه لا يدوم وما عند الله خير وأبقى.

أي أن لدى المسلم مسطرة اسمها كتاب الله ينيب إليها ويرى أمر الله فيها ويستجيب لذلك (ساجداً لله طوعاً).

أما أن تقول إن المسلم هو من شهد الشهادة وصلّى وزكّى وذهب إلى الحج وصام، فإن هذا لا ينتمي إلى تعريف الله بصلة. إن المسلم هو الذي يعود في كل صغيرة وكبيرة إلى الله مستجيباً وطارداً كل شيء ما عدا الله من قائمة الخضوع.

إذاً، لقد جعل الله لكل شرعة منهاجاً مختلفاً باختلاف الأزمنة، وجعل لكل قوم طريقة مختلفة، ولكن الله لا يقبل بانتقاص دينه (الإسلام) الذي يعتمد على إعلاء كلمة الله في الأرض دون سواها، وعدم اتخاذ أرباب آخرين في الأرض واجتنابهم كلياً ليأتي نصر الله إنه سبحانه لا يُخلف الميعاد.

الصابرون وعلاقتهم بالنواة

قلنا إن هدف الله من وجود الإنسان على الأرض هو بناء نواة، وهذه النواة هي اللبنة الأساسية لمملكته، ولذلك يجب علينا أن نعرف تماماً مواصفات الإنسان التي ستكوّن البناء الأساسي، فأي بناء يحتاج إلى مواصفات من طبيعة البناء الذي يبنى، ومملكة الله تبنى بإنسان له مواصفات حددها الله، وهي وضعت في إطار مفاهيم، وسأستعرض هنا تلك المواصفات التي اشترطها الله بالإنسان ليكون أهلاً لبناء المملكة.

النواة هي خلية في جسم وكلما تقدمت هذه الخلية في العلم والهداية تستطيع أن تؤدي أية وظيفة في هذا الجسم حسب حاجته وفق قانون وفوق كل ذي علم عليم، والانابة هي بوصلة الخلية، والخلية تبتعد عن الهدى وتقترب، وإن الصبر شرط مسبق في كل عمل مهما كان صغيراً أو كبيراً، لأن الإنسان مهما تمتع بدرجة علمية ومهارات وذكاء إذا لم يكن صابراً لإنجاز عمله فإن العمل سيبدأ ولكنه لن ينتهي، أو أنه سينتهي بطريقة سيئة. والله يريد لمملكته أن تكون على أحسن صورة.

إن الصبر له علاقة بالإنسان وهو أمر شاق، ويقول الله عنه: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود: 115].

أي أنه شرط لازم إذا عزم الإنسان على تحقيق هدف ما، والصبر هو أن يكون الإنسان مقيداً بهندسة معمارية وهو يحاول البناء، ويكون مقيداً بمادة بناء محددة، ويكون مقيداً أيضاً بأوقات عمل، هذه الأمور جميعها يحددها الله بدقة، وما على الإنسان إلا العودة إلى كتاب الله ليجد تلك الهندسة والمادة والوقت، وهناك أيضاً غرامة تأخير يجب على الإنسان تسديدها في حال لم ينجز البناء في خلال المدة المطلوبة وبالمواصفات المطلوبة، وهذه أداة شرطية يجب أن تكون ملازمة للإنسان.

إنه الامتحان بما أنزل على قلوبهم وما أودع فيها من الدين الحق ومدى الالتزام به، فالتقوى لا تستقرّ في القلب إلا بالتزام شروط التقوى وممارسة هذا الالتزام في تشعبات الواقع، لتستقرّ الحقيقة في القلوب وتصبح قاعدة التصور للمشيئة الالهية فتدرك النواة ما عليها التزامه، والتخلي عما تحبه النفس وتهواه فهي في الأرض لتنفذ مشيئة الله التي أدركتها وتمارسها في أرض الواقع وفق منهاج محدد في دين الله.

فالله هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه، فالنواة تخلت عما تحب وتهوى والتزمت

صابرة تنفذ مشيئة الذي خلق في كل حين كالشمعة تحترق لتضيء لمن حولها فلا يخطئها أحد.

هذا الالتزام وهذه الممارسة في أرض الواقع هما نقطة الارتكاز الأصلية في حياة النواة، انظر كيف يصف المولى سبحانه النواة بقوله: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122].

فالنواة تدرك أن الشياطين يوحون إلى أوليائهم ليجادلوهم فإن أطاعوهم أصبحوا مشركين، وتدرك أيضاً أنه زُيّن للكافرين ما كانوا يعملون.

ما هي خريطة الصبر التي وصفها الله. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: 125-126].

إن الله طمأن الإنسان الذي سيبدأ بالبناء بأن الله سيمده بجنود لا يراها، وهذه الجنود ستكون بمثابة قوة مضاعفة للبناء، وهذا يتحقق إذا صبر الإنسان (أي التزم) على البناء. وإن الله قد وضع شرط الصبر لامتحان إيمان المؤمن (أي مدى التزامه)، وهذا ما فعله مع ابن إبراهيم حين هَمّ أبوه بذبحه فقال إسماعيل ستجدني إن شاء الله من الصابرين فهو ملتزم مهما كان الشقاء أو التضحية، وعندما تفوّه إسماعيل

بهذه الكلمة أسقط الله الحمل الثقيل عنه لأنه كان يريد امتحان إيمانه بالصبر أي مدى التزامه. ولذلك تحقق قوله تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [النحل: 96].

فالنواة تدرك جهة الحاكمية وتبتعد عن الافتراء أو الإعتداء على سلطان حق الذي خلق فلا تبغي حكماً غيره، وتدرك الحق وتلتزمه وتتواصى به وتتواصى بالصبر عليه.

إن العبارة لا تملك أن تستحضر مذاق التجربة فهي تنشئ في القلب حياة بعد الموت فيشع منه النور في ظلمات فوق ظلمات ليعود لكل شيء في الحياة مذاق جديد.

إن الصبر معناه أن ينفذ الإنسان وصايا الله ملتزماً إياها من دون النظر إلى أن العوائق تحبط العمل لأن الحق تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء: 81].

فالنواة تستجيب ملتزمة حتى يتحقق أمر الله بأن يزهق الباطل.

(هذه العملية تدعى الصابرين).

وهذا أمر صعب لأن الإنسان عادة عجول ويريد أن يرى نتائج عمله فوراً، ولذلك يفقد الإنسان صبره أحياناً ويتخلى عما قاله الله فيحاول قتل الطاغوت، وينسى أن الله تعالى قد قال: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾ [المزمل: 10].

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا ﴿٢٤﴾﴾ [الإنسان: 24].

﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۚ﴾ [غافر: 77].

فالصبر هو استمرارية الالتزام.

ولقد اختلط الأمر على بعضهم في مفردات الحوار والجدال وحق النقد والاختلاف في إبداء الرأي الشخصي وحرية التعبير، ضمن آداب الخلاف في الحوار الديني بين ما هو رأي شخصي وما هو دين مدوّن، مما أدى بالاستبداد الفكري والاحتكار الثقافي إلى اقتطاع آيات قرآنية من موضعها، وحرفها عن سياقها نتيجة أفكار معلبة وأجوبة متناقضة لا تدركها العامة لقلة علمها بكتب الله من جهة وسنن الله من جهة أخرى، فانتهينا إلى وضع مزرٍ لا نحسد عليه وتاريخ طويل من العصبية والمذهبية والغلو مما جعل هذه الآراء الشخصية حاجزاً بين البشر والمصحف الشريف؛ وإنني إذ ألفت النظر إلى كل ذلك آمل أن أساهم في جلاء الصورة وتوضيح أسباب الحالة المزرية لأكون لبنة خير في عمل الصالحات لمواجهة التحديات التي نعيشها، وما القصد أن نلقي باللوم على أحد بل أن نلتفّ حول المصحف الشريف وما يحويه من خير وسعادة وسلام ورحمة لكل البشر.

إن حكم ربك واضح وهو الصبر وعدم الإطاعة للطاغوت. وحتى أن الله يدعو الإنسان إلى تحمل الأذى

الجسدي والمادي وهذا ما قام به موسى إذ قال فرعون لنقطعن أيديكم وأرجلكم وحين قال إنه سيستحيي نساءهم وينفيهم في الأرض، أي حين هدد فرعون موسى بالعرض والتعذيب الجسدي وأخذ الأموال بالاكراه، كان جواب موسى لنصبرنّ على ما آذيتمونا لأن موسى لم تكن لديه رخصة من الله بقتل فرعون، وإنما كانت رخصته هي الصبر (الالتزام) فامتثل موسى لأمر الله فجاء نصر ربه.

إن الحكم بين الذين آمنوا والذين لم يؤمنوا ليس السيف أو الشتائم كما نرى حالياً.

قال شعيب لقومه: ﴿فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الاعراف: 87].

ولا أعلم لماذا يترك الإنسان خير الحاكمين ويلجأ إلى السيف والقتل للفصل بين طائفتين من الناس. إن الله هو الحاكم والحكم وليس الإنسان. أي إن الإنسان حين يريد الاعتزال والتقوقع لا يكون إلا بأحسن الطرق وأجملها.

إن الصبر أمر إلّهي وليس تكليفاً فقط وهو عام أي أنه إذا قامت به طائفة لا يسقط عن المجتمع، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: 3].

أي تواصوا بالحق وتواصوا بالالتزام وليس ذلك تحملاً لذل، أو تحملاً لضعف إنما هو من عزم الأمور.

والحق هو الذي جاء به رسل الله.

كلمة تواصوا فعل أمر وهو مهمة اجتماعية ونوع من التكافل والدعوة والتبشير الاجتماعي.

إن الإنسان قد فقد الإيمان بالصبر وهو ينظر إليه على أنه نوع من الضعف وعدم إثبات الذات، بينما قال الله تعالى عن الصبر بأنه من عزم الأمور، إن اختلاف منهجية الرؤية إلى مفهوم الصبر قد نجم عنه اختلاف التكتيك والاستراتيجية لبناء المجتمع وبناء الفرد، وبناء مملكة الله، وإن الله لن يغير مجتمعنا ما لم نغير ما بأنفسنا، وحتى نغير المفاهيم التي نراها لبناء المجتمع بالعودة إلى منهج الله، وتمحيص كل مفهوم ودوره في الحياة.

إن الصبر فرض عين لأن الله قد جعل الأشياء وفق تسلسل معين وربط تحقيق "ب" مثلاً بأن يسبقه "أ"، وجعل هناك نظاماً متسلسلاً ومتكاملاً كعملية بناء البيت تماماً. فالخطوة الأولى هي حفر الأسس ثم تشييد الجدران ومن ثم وضع النوافذ والأبواب، وهكذا لا يمكن أن يكون وضع الأبواب قبل وضع الأسس، وإذا تم هذا العمل فإن المنزل سيتصدع من فوره.

وذلك يعني أن تبني الجدار أولاً ثم تقوم بعملية الدهان وليس العكس، فقد جعل الله لكل مهمة بناء عنصراً نفسياً وعقلياً واجتماعياً معيناً، فتارة يكون الصبر والجهاد، وتارة يكون القتل ولكل دوره وزمانه ووظيفته ولا يمكن استباق القتال ووضعه في زمان الصبر وإلا تهدّم المنزل من أساسه،

فالصبر هو الالتزام والإسلام هو الاستجابة والجهاد لا يعني القتل أو القتال، إن الله هنا يحدد لنا بمن نختلط من الناس، ويحدد أيضاً من الذين حرّم الله قتالهم وهم الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم، وحدد أيضاً درجة العلاقة التي لا تناحر فيها وهي البر والقسط، وسنأتي في بحث موسع على القتال وماهي شروطه والجهاد وما هي شروطه.

ميزان الله

إن النصوص القرآنية من جهة أو كلمات المسيح المدونة بالكتاب المقدس من جهة أخرى، ترسم صورة مخالفة تماماً لما يدّعيه المسلمون في الأرض وكذلك الحال بالنسبة لأتباع المسيح، وهذا الكتاب يعالج أزمة الحوار المعاصر في الوسط الفكري العربي والإسلامي في الأزمات الدائرة في الساحة الفكرية.

علينا أن ندرك الفرق بين مفردات التهجم العدائية الفارغة والهجوم البنّاء الذي يستند إلى الدليل والحجّة، فالاتهامات بالعمالة والكفر والزندقة هي اتهامات فارغة باطله إن لم يكن وراءها دلائل وبراهين، ولذلك يقول الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: 6].

وإنني أدرك تماماً أن لكلماتي وقعاً صعباً ولكنني أسنده بدليل إما

قال الله،

أو قال الرسول،

أو قال المسيح.

ولقد بذلت قصارى جهدي مراراً وتكراراً كي أتجنب ما هو شخصي لا يستند إلى براهين وأدلّة مدونة في المصحف الشريف لمن يؤمن به وأعطي أدلة لمن يدعي أنه يتبع المسيح من أقوال المسيح نفسه والمدونة بالكتاب المقدس الذي يسمونه (نسخة الحروف الحمراء)[8].

إن الميزان الأساسي في سُنّة الله في عباده الذين خلوا من قبل له قطبان أو كفتان، وهاتان الكفتان تتمثلان بمفهومين عبّر عنهما الله بـ:

1- الصدع

2- غياب الخالق عن المعادلة الفكرية

1- **الصدع** وهو الانشقاق عن المجتمع الذي غاب عنه الله في معادلته الفكرية في الحياة اليومية وهذا ما أمر به الله تعالى حين قال: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [الحجر: 94].

ولذلك قال إن إبراهيم والذين معه أسوة حسنة.

هذا الأمر التزمه أنبياء الله جميعهم ابتداءً من أول نبي وحتى خاتم الأنبياء، فتخلى الأنبياء وانشقوا عن أوطانهم وأهلهم فكان الصدع هو زاوية الإنحراف عن المجتمع الذي

(8) الكتاب المقدس.

غاب عنه الله فعلياً وليس شفوياً، وكذلك غاب أمر الله عن فكر المشرك بتطبيق ركن الدين الذي هو تحريم الشرك فأصبح الصدع واجباً.

انظر إلى قول المسيح عليه السلام كيف يصفهم بالكلاب تارة وبالخنازير تارة أخرى: (لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير) متّى الاصحاح السابع (6).

وهذا ما عبر عنه إبراهيم عليه السلام بشكل فعلي حين انشق وانصدع عن أهله وقومه وأبيه، وهذا ما فعله موسى وعيسى ونوح ومحمد وجميع أنبياء الله عليهم السلام.

ولم يخرج على هذه السنّة الإلّهية نبي واحد. ولم نجد نبياً ملتصقاً بأمته التي غاب عنها الخالق بل على العكس ترك الأنبياء الأوطان والأهل والآباء والأبناء واعتزلوا أو هاجروا في أرض الله الواسعة، لقد أدرك الأنبياء أن الزيت لا يختلط بالماء وأنه إذا فعل فإنه يكون قد فقد خواصه، ولم يكن الأنبياء ليتركوا خصلة واحدة أمرهم الله بها فتقوقعوا كنقطة الزيت الموجودة في الماء، وذلك لأن تقوى الله لا تكون إلا بالصدع، لذلك أتى جميع أنبياء الله بشعار واحد إلى أقوامهم: "يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره".

إن هداية الإنسان والمجتمعات لا تكون، ولا تبدأ إلا بعد الصدع لأن الله لا يهدي إلا من ينيب إليه ويجعله مرجعاً وإماماً في حياته. أما من يجلس في حضن الطاغوت ويذهب إلى بيت الله ليقول لبيك اللهم لبيك ثم يعود إلى طاغوته

ويقول لبيك يا طاغوت لبيك بالدم والروح نفديك فإنه يصنف في دائرة من وصفهم الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: 3].

سنت من سنن الله

إذا كان أنبياء الله جميعهم قد صدعوا (انشقوا) عن كل سلطة مخالفة لأمر الله (لم تستجب ولم تلتزم)

فهل ما فعله الأنبياء يفعله رجال الدين اليوم؟

لنقرأ الواقع:

لقد قال المسيح: (هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم في بيوت الملوك) متّى الاصحاح الحادي عشر (8)

فهل البابا الجالس على عرش الفاتيكان يلبس الثياب الناعمة، هل هو في بيت الله أم في بيت الملوك، أم أنه كزهرة عباد الشمس يميل باتجاهها أينما مالت؟

لقد حذر عيسى عليه السلام أتباعه قائلاً: (انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين) متّى الاصحاح السادس عشر (6)

فهل البابا ورجال الدين يجلسون على مائدة واحدة مع طواغيت الأرض يتقاسمون وإيام مبادئهم وأفكارهم أم أنهم يخضعون لتحذير عيسى عليه السلام؟ هل يتفاوضون مع أعداء الله باسم المصالحة الوطنية والمصلحة القومية وما إلى ذلك؟

هل ما يفعله أتباع عيسى يفعله أتباع محمد؟ هل انشق وانصدع رجل الدين عن الطاغوت كما أمره الله حين قال: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: 36].

وحين قال: ﴿لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ (١٩)﴾ [العلق: 19].

هل تم الصدع فأصبح الجسدان منفصلين أم أنهما جسد واحد وقلب واحد؟

هل صار هناك صدع بين الإنسان والطاغوت أم أن الإنسان جالس في حضنه يروّج له وينظّر لأفكاره ليحظى بعمامة أو كرسي أو وظيفة في وزارة الأوقاف؟

هل نجد رجال دين صدعوا وانشقوا عمن لا يطيع الله كما فعل الأنبياء جميعاً لأجل إعلاء كلمة الله، أم أن المصالح قد اختلطت والأوراق قد تبعثرت فصار عصياً على الإنسان فهم الورقة التي أرسلها الله والورقة التي كتبها رجال الدين؟

لقد علم بعض رجال وعلماء المسلمين هذا الصدع ولم يدركوا أسبابه، وراحوا يدعون إلى تقليد الرسول من دون فهم وإدراك للصدع من جهة، ومن دون فهم وإدراك لأسبابه من جهة أخرى. فحل الشكل محل الفكرة وظن الإنسان أنه إذا لبس وأكل كما فعل الرسول فإنه قد سار على سنته وهدايته. لقد أوهم رجال الدين الإنسان البسيط العادي بأن الدين له أركان خمسة، ولم يبينوا أن الدين لا يبدأ إلا بنقطة.

﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: 59].

واعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت شعار أنبياء الله جميعاً.

إن الدين اليوم هو هواجس ووهم وتقليد، وهو دين مزيف لا وجود له إلا في أذهان أئمة السلطان، ينقلونه كالعدوى للبشر من دون وعي وإدراك والله يقول: ﴿وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠﴾ [يونس: 100].

بينما الدين هو الولاء لله سبحانه بالإذعان والانقياد لأمره والبراء التام من الآباء والأبناء والقوميات والأوطان في سبيل الله حتى يؤمنوا بالله وحده. والصدع كما أمر به الله هنا لم يتحقق ورجال الدين أجمعين يحضّون على الدفاع عن الطاغوت تحت ذريعة الأمة والوطن بينما قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا ٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعۡفُوَ عَنۡهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورٗا ٩٩﴾ [النساء: 97-99].

لاحظ كلمة ظالمي أنفسهم، فالظلم هو تعدي حدٍّ من حدود الله وإن النقطة الفاصلة هي الصدع، فعندما لا يتم الصدع يعتبر ذلك تعدياً على حدٍّ من حدود الله والمعرفة الدقيقة والتمييز الدقيق بين ما يدعو إليه الله وما يدعو إليه المتستر بعباءة الله. فإذا غاب الخالق مثلاً عن المعادلة الفكرية القائلة: "ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها"،

وأمرنا رجل الدين وحضنا على الدفاع عن الوطن فإن الفيصل هو الصدع عن رجل الدين الذي لم يعد يمثل الله، وإنما شيطانه حين غاب قول الله تعالى.

وما دام رجل الدين يلبس عباءة الله ويأكل مع الطاغوت خبزاً فإن الخطوة الأولى في الدين لم تتحقق.

2- **غياب الخالق عن المعادلة الفكرية**: إن غياب الخالق عن المعادلة الفكرية في الماضي كان بسيطاً وواضحاً وجريئاً إذ عبر فراعنة الأرض عن ذلك بقولهم ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: 38].

أما اليوم فإن العملية أكثر تعقيداً وما يقوله اللسان غير ما يمليه التصرف. وتأتي عملية الغياب الإلّهي عن المعادلة بأكثر من شكل وصورة بعضها مغلف بأوراق ذهبية وأخرى فضية بحيث يصبح لمعان الفكرة أهم من ذاتها، وبحيث تصبح الفكرة الخبيثة براقة تخطف الأبصار ولا تظهر ما في داخلها.

لم يعد الطاغوت نداً علنياً واضحاً لله كما كان في الماضي، وإنما يتستر بعباءته ويتحدث للناس باسمه ويقف في طابور المصلّين وأمامهم، ويصوم مع الصائمين ويحج مع الحاجين (هذا هو الغلاف الذهبي الذي يغلف الطاغية اليوم نفسه به).

أما واقع الحال فإنه لا يحكم بما أنزل الله ولا يؤمن بـــ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: 40]. .

فاستبدلت مقولات الله بعبارات الحكم للشعب والديموقراطية والأحزاب السياسية، وهكذا تمت الصلة مع صاحب السيف الذي يقطع رقاب الناس وامتنع الصدع والإمام يؤمّ الناس أجمعين. وهكذا وقف الطاغوت الذي يصلي مع الناس معلناً فصل الدين عن الدولة. والله يقول إن الدين كله هو الدولة وأن هدف الدين هو إنشاء دولة الله، أي إنشاء دولة (باسم الله) وشعاراته وقانونه، ليكون الله هو ملك الناس إلّه الناس وليس طواغيت الأرض.

لقد تم غياب الخالق في المعادلة الفكرية منذ اللحظة الأولى من تاريخ البشرية، ولا يزال مستمراً، وذلك حين قرر آدم عليه السلام الاقتراب من الشجرة ناسياً أمر الله. وقد أدرك آدم خطأه فعفا عنه الله ولكن أبناء آدم اليوم نسوا تاريخ أبيهم، ولم يعودوا يدركون الخطيئة التي يرتكبونها بخروج الله من المعادلة الفكرية، ولا يعتقد الإنسان أصلاً بأنه قد أخرج الله من المعادلة الفكرية بل يظن بأن ما يقوله هو ما قاله الله.

لقد عبر الله عن (غياب قانونه في الحياة) وآثاره حين قال إن هناك حاكمين اثنين في الوجود إما الله وإما الحاكم الأرضي بوجهيه الديموقراطي وغير الديموقراطي. فإذا كان الحاكم (الطاغوت) حاضراً فإن الله غائب حكماً، وإذا كان الله حاضراً فهذا يعني حتماً زوال الطاغوت من تلقاء ذاته من الخريطة التي رسمها الله في دولته. لأن المتناقضات لا

يمكن فلسفياً وعلمياً ومنطقياً أن تجتمع في زمان واحد ومكان واحد.

وإذا لم تستطع المجتمعات الإنسانية أن تفعل ما تفعله نقطة الزيت في الماء، ولم تستطع أن تحافظ على فصل المتناقضات بعضها عن بعض فإنها ستغرق أكثر وأكثر في تخبطها الفكري الذي امتد على مدى ألف وأربعمائة عام.

إن مثال الصدع واضح تماماً في القرآن في قصة أصحاب الكهف إذ يقول الله: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف: 9-16].

لقد آثر عباد الله الدخول إلى الكهف والبقاء فيه على أن ينخرطوا في المجتمع ويلتئموا لأنهم كانوا عباداً صادقين لله.

كيف رأى الأنبياء الأمور
في نظام متكامل

إن نظام الله في كل شيء يجري وفق تسلسل، وهذا التسلسل ينطوي ضمن حلقة متكاملة. ولقد أدرك الأنبياء أبجدية هذه الحلقة وطبقوها من ألفها إلى يائها، فوصلوا إلى فهم كامل للسلسلة الكاملة.

لإدراك هذا النظام لابد من إدراك أمرين اثنين:

كتب الله

سنن الله

منطقياً، إن اقتطاع أي جزء من السلسلة يعطل فهم السلسلة كلياً، وبالتالي يعطل فعلها في الواقع، وإذا فكرنا منطقياً ما الذي سيجري إذا علمنا في مادة الحساب عملية الضرب وتجاهلنا عملية الجمع، فهل سنتوصل إلى حل عملي؟

إن المسلمين اليوم لا يعترفون بهذا المفهوم وهم لا يرون أن عبادة الطاغوت هي اقتطاع أو تخريب للسلسلة المتكاملة في نظام الله، كما أن المسلمين لا يرون أن هناك مسلمين في العالم غيرهم، وهم يرون أن الحج مقتصر عليهم دون

سواهم، مع أن الله تعالى قال: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: 97] ولم يقل وعلى أتباع محمد عليه السلام أو المسلمين.

والمسيح قال: "الكل مدعوون إلى مائدة أبي"

ولم يكترث أحد لقول المسيح عليه السلام.

والنبي محمد عليه السلام قال: "لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى". ثمة من يتكلم أو يكتب عن التعددية الدينية وضرورة تبادل الآراء والحوار بين الأديان.

وهناك من ألّفوا من الآراء أدياناً، ثم دعوها تعددية دينية وهنا لابد لنا من تأكيد أمرين اثنين:

1 - لا وجود في دين الله لتعددية دينية

2 - التعددية الموجودة في القرية الصغيرة «الأرض» تعددية ضلال لا تمت إلى دين الله بصلة. سمّها ماشئت إسلاماً يهودية نصرانية مسيحية شيعية سُنّية أرثوذكسية بروتستانتية كاثوليكية... إلخ.

رسل الله يدعون إلى دين واحد ويبشّر بعضهم ببعض ويدعم بعضهم بعضاً، ولكي يتحرر إنسان الأرض من هذا التيه الذي يتخبط فيه فلا بد من اقتلاع الدين المزيف من عقول الناس، واستبداله بدين الله الحق والمدون معهم.

انظر إلى الآية التالية: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ

يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: 158].

انظر إلى ضمير (إني) في إني رسول الله إليكم جميعاً

ثم انظر إلى ضمير (اتبعوه).

إذا كان الإنسان لا يستطيع التمييز بين (إني ، و اتبعوه)

وأنّ الأول (أنا) و الثاني (هو)

هما شخصان اثنان مختلفان، فأنا أقول صراحة إني عاجز أن أريك ما أرى.

ثم انظر إلى (يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً)، فهل هذا النداء هو لفئة معينة أم أنه عام؟ ومع ذلك يقولون هذا الدين عام وذلك دين خاص.

انظر إلى قول المسيح عليه السلام (الكل مدعوون إلى مائدة أبي).

انظر إلى قول محمد عليه السلام (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى).

انظر إلى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: 1].

السؤال على من أنزل الفرقان؟

الجواب: موسى عليه السلام.

الدليل: ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [البقرة: 53].

«للعالمين نذيراً». هل هذا خاص أم عام؟

لابد للناس من قراءة الدين من جديد وبدون شوائب وتفاسير أئمة السلطان.

لم يفهم المسلمون مقولة النبي لأنهم لم يتدبروا مفهوم التقوى في المصحف ولأن المفهوم غائب وغير متفق عليه.

أنظر إلى قول موسى عليه السلام: ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: 17].

بينما يقول المسلمون "أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً"

ثم يذهب بعضهم ليفلسف لك معنى الظالم ويرمي وراء ظهره معنى الظالم المدوّن في المصحف. لقد دعا أنبياء الله أبناء عشيرتهم وغيرهم من دون تمييز. ولم يميز الأنبياء أنفسهم بانتمائهم إلى قومية أو عرق أو حزب أو طائفية، وهي لم تكن موجودة في قاموس الأنبياء.

اليوم ثمة من يرى أن العالم قرية صغيرة، وهناك من له طرح آخر ناقص إذ يدعي كل فرد بأن انتماءه إلى قوم ووطن مغايرين.

هذه الإزدواجية لم تكن موجودة في رؤية الأنبياء، فأنبياء الله كان ولاؤهم لله الواحد وكانت لديهم رؤية جلية واضحة. هذا ما فهمه الأنبياء وما عجز عنه أتباع الأنبياء، فقد كانت رؤية الأنبياء واضحة جلية في قول يوسف عليه السلام: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يوسف: 40].

لقد وضح يوسف عليه السلام الدين القيم وربطه بمفهوم الحكم لله. وجعلها شرطية بمعنى أن الدين القيم يقضي بأن يكون الحكم لله، وليس كما يفسره بعض المفسرين بالصلاة والصوم والأركان الخمسة.

لقد رأى جميع الأنبياء الرؤية ذاتها من الزاوية ذاتها، لذلك نرى أن شعار الأنبياء جميعاً وبدون استثناء هو "اعبدوا الله ما لكم من إلّه غيره".

(أي اعبدوا الله واتقوه)، والصلاة ليست هي العبادة بدليل قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ﴿١٤﴾﴾ [طه: 14].

الواو حرف عطف

أحمد وعلي = شخصين

العبادة والصلاة = اثنين

ولكن أئمة الطاغوت قالوا: أحمد وعلي شخص واحد.

اعبدني أي افعل ما أريده أنا في كل لحظة من حياتك.

ما يريده الله حبل طويل يبدأ بالاستجابة ثم الالتزام بأن تكون مثل أنبياء الله ورسله وفق قانون لا يكلّف الله نفساً إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت.

فكيف يستقيم في أخلاقيات المسلمين وتشريعهم أن يكون هناك ولاءات شتى ولاء للسلطة وولاء للقومية وولاء للحزبية وولاء لله مع أن الله تعالى فصّل التطبيق حين قال: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: 36].

فاعبدوا الله كقطب لا يكفي وحده للوصول إلى الله إذ هناك (و) العطف على الجملة وهي اجتنبوا الطاغوت. أما أن نعبد الله ونعبد الطاغوت في الوقت نفسه فإنه تخريب لمفهوم السلسلة المتكاملة الموصلة إلى الله والتي فهمها الأنبياء. فإذا أجرينا مسحاً في المصحف حول هذا المفهوم فإننا لن نجد نبياً واحداً لم يرفع أو يحقق هذا الشعار.

وهذا ما عبر عنه الله حين قال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: 36].

وهذا يتحقق في مقولة إبراهيم في المصحف.

﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ﴾ [العنكبوت: 16].

ما هي التقوى وكيف تتقي الله؟

عشرة شروط مدونة في المصحف الشريف إذا طبقتها في حياتك اليومية وحافظت عليها فأنت من المتقين، وكل ما يدعيه أئمة السلطان خرافات وآراء لا علاقة لها بالدين. أنا لا أعطيك رأيي الشخصي بل أدلك على المرجع، انظر في بحث المتقين:

﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾﴾ [الأنبياء: 92].

لاحظ هنا الاشارة إلى «هذه أمتكم» فقد سبق هذه الآية تعداد لكل أنبياء الله ورسله ثم قال «هذه» مشيراً إليها بأنها أمة واحدة.

﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [العنكبوت: 56].

أية أرضٍ هي المشار إليها؟ كل الأرض.

فأين هي أرض الإسلام التي يدعيها المسلمون (الخوارج)؟

وفي آل عمران نجد:

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: 51].

ولكن البشرية اليوم تعبد طواغيت الأرض (الشيطان) وتدعي أنها مسلمة ومسيحية أو يهودية.

﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: 45].

نعم لقد جعل أبناء الأرض الأحزاب السياسية آلهة تعبد وجعلوا شعار الحزب فوق شعار الله، حتى ولو كان الحزب يلبس عباءة الله "حزب الله" فإن هذا لا يغير شيئاً.

لقد باع الأنبياء أنفسهم لله ولم يتم استعبادهم بالاقناع أو القهر لغير الله لأنهم رأوا الصورة المتكاملة، ولم يستطعْ طاغوت مهما بلغ من قوة أن يجعل نبياً في خانة طاعته. ولقد حقق الله لأنبيائه هذه المعادلة لأنهم فهموا الأمر الإلٓهي وطبقوه، فانعزلوا انعزالاً كاملاً عن الطاغوت ولم يطيعوه ولم يقاتلوه، وإنما تمسكوا بالصبر ورفعوا راية الجهاد لذلك لم يستعبدهم أحد إلا الذي خلقهم، بينما حال المسلمين اليوم تشير إلى استعباد إثر استعباد حتى غدا الاستعباد السمة

الأساسية فى تاريخ المسلمين، لأن المسلمين أولاً لم يفهموا قانون (الصدع) فجاء الرد الإلّهي للمسلم باستعباد الآخر له. لم يستطع المسلم قراءة أو إعادة قراءة ما فعل الأنبياء، ولم يستطع أن يستخلص استراتيجية الأنبياء في التعامل مع المصحف وإنما ظن وفكر واستنتج أن محاربة الطاغوت هي الوسيلة الوحيدة للقضاء عليه على عكس ما فعل الأنبياء، فلقد ساروا من الظلمات إلى النور بينما يسير المسلمون والنصارى واليهود من النور إلى الظلمات، والاتجاهات المتعاكسة لا يمكن أن تؤدي إلى المكان ذاته. لقد استخدم بلال سلاح الأنبياء (الصبر) ولم يخضع لقانون العصا والجزرة، لقد فهم بلال أن هذا السلاح أخطر من جميع الأسلحة التي اخترعها الإنسان، وأنها جميعاً خيوط عنكبوت، إذاً فالسلاح الإلّهي هو المتمثل بالاجتناب مقابل السلاح الإنساني المتمثل بالقوة والعتاد، والله يقول سلاح الصدع والصبر (الطوع) والإنسان يقول سلاح الطاغوت (الإكراه)

وهكذا أدرك الرسل:

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝١٥﴾ [الرعد: 15].

فأثر رسل الله أن يسجدوا لله طوعاً بينما نرى البشر يسجدون لله كرهاً بدليل أن سلّط عليهم ربهم طواغيت الأرض.

لقد فهم الأنبياء مقولة الله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: 175].

فلم يتأثروا بأي سلاح مادي وإنما تمسكوا بسلاح الله الفتاك "الاجتناب" واستعانوا بالصبر والصلاة للوصول إلى السلاح الشافي الذي لا يقهر.

ولقد قالها المسيح بلغته ولغة عصره وشرعه إذ قال: (لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها) متى الاصحاح العاشر (28)

وقال: "أحبوا أعداءكم أحسنوا إلى مبغضيكم"

ولم ينطق المسيح بتلك العبارة تحبباً فقط وإنما لأنه رأى أن ذلك هو السلاح الفتاك الذي يزيل العدو من الوجود. لقد أدرك المسيح ووعى مقولة الله: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: 34-36].

فهل يتمتع المسلمون بالصبر وهل لهم حظ عظيم من الله؟ واقعهم يجيب بأنهم قد خسروا المشكاة التي يستطيعون بها الوصول إلى بناء مملكة الله لأنهم لم يتذكروا القواعد المنصوص عليها في المصحف.

فالبناء له أركان وشروط ومستلزمات ليست متوافرة في المسلمين، بل وحتى الحد الأدنى منها غير متوافر، والأساس الذي هو الاجتناب غير متوافر أيضاً، وبالتالي لا يمكن البناء على شيء فاقد أساسه.

بل إن المسلمين ويا للأسف يفعلون عكس ما يؤمرون، وعكس ما اتبع الأنبياء من هدى الله، وهذا واضح بإجراء تحليل للمقولات السائدة في المجتمع ولمقولات الأنبياء، هناك جدار سميك فاصل ولا رابط بين المنهجين سوى الإسم، ولذلك تجلى فيهم قول الله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: 17-18].

إن السؤال هو كيف تهدي إنساناً استوقد ناراً لفترة زمنية ثم ذهب الله بنوره وتركه في ظلمات، إن هذا كما يقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: 40].

إن هذه الظلمات أتلمسها عندما أجلس في مجلس المثقفين فأجد النية حاضرة في كل مقولة، وأرى التناقض الهائل بين الله والمثقف. نجد بعض المثقفين المسلمين يدعون إلى فصل الدين عن الدولة معتقدين بأن سبب الكارثة

الواقعة على المسلمين هو ارتباط الدين بالدولة، مع أن الله يقول إن مملكة الله هي على الأرض أي ربط الدين بالدولة.

إنه لا بد للإنسان وكما فعل آدم أن يعترف بأنه قد ضل الطريق وأن يعترف بأنه قد ظلم نفسه أولاً، لأن إدراك المشكلة هو مفتاح المشكلة، وهذا ما فهمه أتباع موسى.

﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ [الأعراف: 148-149].

فيا للأسف، لقد عاد أتباع موسى وعيسى ومحمد إلى اتخاذ العجل وظنوا أن الخوار الصادر عنه دليل قوة، بل بالعكس إن الله يرينا أن هذه الأسلحة (النووية)إلخ كالعجل الذي له خوار، ولكنه لا يمكن أن يهدي بل يضل ولكن لا أحد يعترف الآن بأن هذا العجل لا يهدي إلى سبيل الله، ويظن المسلمون أنهم إذا امتلكوا القوة فإنهم قد وصلوا إلى المجد، ألا ترون أن الاتحاد السوفياتي يملك من القوة العسكرية ما يدمر به الأرض مراراً وأنه انهار وكذلك ستسقط حكومات الأرض في فصل الخريف.

لقد خرج الإنسان على شروط العقد المنصوص بينه وبين الله:

«لا تتخذوا من دوني وكيلاً»

بينما خرج الأنبياء على شروط عقد مملكة الطاغوت، لقد طلق الأنبياء حكومات الطاغوت بينما تم عقد قران غير شرعي بين البشر وحكومات طواغيت الأرض.

لقد كان واضحاً لأنبياء الله ورسله اتجاه ولائهم فلم يفقدوه قطّ، ولقد كان واضحاً أيضاً ممن تكون براءتهم، فعرفوا القاعدة الأولى في الدين أن الولاء لله والبراءة من الطاغوت وأعوانه.

الولاء و البراءة

هما مفتاح التغيير

ثم الاستجابة ثم الالتزام

لم يغير الفرد ما بنفسه وظل ولاؤه للطاغوت لذلك لم يغير الله حال الإنسان إلى اليوم، إن تغيير النفس هو الطلاق وإن غياب هذا الطلاق هو الزواج القائم وما تصفه البشرية من إرهاب لن يزول لأن من نتائج عدم الطلاق بين الفرد والطاغوت هو الإرهاب أو تسميات أخرى مثل ثورة وكفاح ونضال سمها ما شئت.

ولكن المسلمين اليوم يريدون أن يؤمنوا بالرحمن

والطاغوت في الوقت نفسه، مع أن الله جعلهما نقطتين متنافرتين غير ملتقيتين في الزمان والمكان.

إن جهال العصر (علماء الأمة) يدعون كل مرة إلى زواج جديد من دون طلاق مسبق، لذلك عمّ الفساد البحر والبر والهواء، وخير ما أختم به عنوان هذا البند هو دعاء يوسف عليه السلام إذ يقول:

"ربي لقد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفّني مسلماً وألحقني بالصالحين" الذين ولاؤهم لله وليس لحكومات الأرض.

رؤية جديدة لمفهوم الجهاد

قال ول ديورانت: «تعتبر الكلمات بالنسبة للفكر بمثابة الآلات للعمل وأما الانتاج فيتوقف إلى حد كبير على تطور الآلات»[9]. خلال القرون التي خلت ارتبط مفهوم الجهاد بمفهوم القتال حتى اكتسب المفهومان في الذهن البشري دلالة واحدة وبات يُنظر إلى القتال على أنه هو الجهاد. سأحاول في هذا الفصل أن أعرّف مفهوم الجهاد وفق المصحف، ومن ثم مفهوم القتال وكيف يقترنان وكيف ينفصلان.

إن تداخل المفهومين نجم عنه وبال كبير على "الأمة الإسلامية" وارتُكِبت جرائم أُطلق عليها اسم الجهاد، كما أنه أُطلق على مجموعة قتلة صفة المجاهدين، فأين الحق في ذلك؟

يقول الشاعر:

بخداع النفس والظلم دعا نهبه فتحاً وبئس المدّعى

إن رؤية دقيقة ومتخصصة في المصحف الشريف تؤدي

---

(9) قصة الحضارة، ول يورانت، الجزء الأول من الباب الخامس، ص123.

إلى استنتاج عدم وجود دليل واحد على أن الجهاد هو القتال، وسأورد هذا المفهوم أينما ورد في المصحف الشريف لأبين حقيقة دلالته، ولأخلصه من الغبار الذي تراكم عليه عبر السنين حتى تكلس.

ما هو مفهوم الجهاد في المصحف؟

لقد حملت كلمة الجهاد على مدى تاريخ طويل معانيَ لا تشير إليها الكلمة بأية صلة لا في المعنى اللغوي ولا في المعنى القرآني إن تتبعت هذه الكلمة في المصحف الشريف، فليس استبدال دعوة بذل الجهد بدعوة حرب سوى خرافة سراب من الظنون التي أصبحت مرضاً ينتقل بالعدوى من جيل لآخر عبر السنين، ولقد عبر عن معناها الحقيقي الرسول الصادق الأمين عندما سأله رجل قائلاً: (يا رسول الله أي الجهاد أفضل؟ قال أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر). ولكي نعود بمفهوم الجهاد إلى نقائه الأول وحرصاً على نقاء الفكر لكل مسلم (مستجيب) غيور فلا تشوهه ممارسات خاطئة، من الواجب أن نعود إلى المصحف الشريف.

فالجهاد هو بذل الجهد في عمل الصالحات لبناء مملكة الله على الأرض، وهذا يتطلب الهداية من الله أولاً ومعرفة صراط الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء والرسل ومن

استجاب لهم، فلنرَ كيف أورد الله مفهوم الجهاد، إذ يقول تـعـالـى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت: 8].

لقد وصف الله الجهد الذي يبذله الأبوان لصرف ابنهما عن طريق الله جهاداً، وانظر أيضاً الأمر الذي أعطاه الله للإنسان مقابل هذا الجهد وهو الامتناع عن الطاعة، وليس القتل حيث أن القتل لا يعني الجهد.

انظر في قاموس اللغة ما معنى القتل ثم انظر الجهد.

فالقتل لا يعني الجهد ولا في أية لغة من لغات العالم

يقول تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحريم: 9].

لاحظ أنه لم يقل اقتلهم.

ويـقـول أيـضـاً: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: 52].

إن الله تعالى يبين هنا، أن عدم الطاعة هو الجهاد، والإعراض عن الذين كفروا واجتنابهم هو الجهاد، ولم يذكر الله كلمة واحدة هنا عن القتال بعد. ولعل النظر إلى سُنّة إبراهيم وجهاده يبين لنا دلالة هذا المفهوم، ولماذا إبراهيم عليه السلام؟ لأن الرسول كان يتبع إبراهيم عليه السلام وكذلك رسل الله جميعاً وهذا معنى ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: 124].

لقد انفصل إبراهيم وصدع عن قومه، فألقوه في النار ولم

يقاتلهم، ولقد اتبع إبراهيم قوله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: 54].

لاحظ هنا ما يقابل كلمة يجاهدون، إنه الخوف من لومة لائم.

ليس في الأمر قتال

إذاً هو جهاد ولوم

إن الكفر بالطاغوت والانفصال عن المجتمع الذي لايطيع الله وهجره بحاجة إلى جهاد كبير، وهذه الهجرات والجهاد سيترتب عليهما لوم وظلم ومشقة وحرمان، كما ترتب على جهاد إبراهيم عليه السلام.

وهذا ما فعله أيضاً السيد المسيح حين أرسل تلاميذه لبناء النواة التي تبني مملكة الله إذ قال لهم: (ها أنا أُرسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام ولكن احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك) متى الاصحاح العاشر (16 - 17).

لقد أرسل المسيح تلاميذه ومعهم تعاليم الجهاد وليس فيها أي نوع من القتال.

ونحن نعلم أن إبراهيم هو الامام ورسل الله كانوا يتبعونه ولقد أمر الله محمد عليه السلام أن يتبع رسل الله وأنبياءه إذ قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: 90].

إذا عدنا وأجرينا جرداً في المصحف الشريف نجد أربعة وعشرين نبياً ورسولاً جميعهم قالوا: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [ابراهيم: 12].

لاحظ أنه ليس في برنامج الأنبياء والرسل أي مشروع للقتل أو القتال لأن القتل له أسباب وشروط والله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام: 151].

وتكررت مرة ثانية العبارة نفسها، الاسراء (33)

فما هو الحق؟

﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّۖ﴾ [الأعراف: 43].

ولو تتبعت كلمة قتل لوجدتها ومشتقاتها (170) مرة في المصحف الشريف ولا علاقة لها بالجهاد، وسنأتي على بحث مفصل لموضوع القتال وأسبابه وشروطه في سنت الله.

المجاهد والصابر

يقول تعالى:

- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: 142].
- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُواْ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةًۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة: 16].

لاحظ هنا معنى الآية إذ الجهاد أن تدعو إلى دين الله

وتنتج إنساناً آخر مجاهداً أو صابراً (ملتزماً) وليس في الموضوع رائحة قتل أو قتال.

- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: 31].

لاحظ دائماً كيف يأتي الجهاد والصبر متلازمين ثم يأتي الجهاد بالنفس والمال، بالنفس لأنك تعرض نفسك وحياتك للخطر وأنت ترى سجون الطاغوت ملأى وقبوره الجماعية ملأى، لذلك قال بالنفس وأما المال فلأن المجاهد يبذل ماله لإيواء من اضطهد لنشر دين الله وهكذا يكون الجهاد بالنفس والمال.

- ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النساء: 95].

هذه الآية توضح الاشكالية كلها. فلو كان معنى الجهاد هو القتال لما كان الفرق درجة بين القاعد والمجاهد. لأن الذي لا يذهب إلى القتال إذا وجب فهو مرتد وعليك واجب الصدع والقطيعة معه كما تبين في كتاب الله، ارجع وانظر إلى قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن القتال هذا من جهة ومن جهة أخرى انظر إلى قوله (وكلا وعد الله الحسنى).

والكل يعلم أن القتال فرض عين على كل إنسان إذا

اكتملت شروط وجوب القتال وهذا دليل قاطع، أما الجهاد فهو فرض كفاية كما تدل الآية، والله الموفّق والهادي.

إن الله تعالى يقسم النواة إلى قسمين: القسم الأول هو المجاهد، والقسم الثاني هو الصابر وأعطى لكل منهما خصائص ودرجات. ولقد وضع الله في أكثر من موضع كلمة مجاهد مقابل صابر:

﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [آل عمران: 142].

المجاهد هو الإنسان التوّاق المتلهف إلى أداء أكبر بكثير من واجبه الشخصي فيلتفت إلى الآخرين لإنتاج صابرين ومجاهدين، وهو يبذل الجهد في عمل الصالحات ويتحمل تبعات ذلك من هجرة وتشريد أو خسارة مادية أو يؤوي إليه من هاجر لذلك الغرض

﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: 72].

لهذا سُمّي بالمجاهد لأنه يدفع أو يعرض نفسه وحياته ثمناً لذلك أو ينفق ماله لهذه الغاية وأحياناً يدفعهما معاً (أي الذي يقوم بفرض الكفاية من الناس) (Eager beaver).

أما الصابر فهو الذي يكتفي بالواجب الشخصي (فرض عين) فيلتزم ويساعد بماله ويعرض نفسه للموت ولكنه لا ينتج

نواة أخرى، أي لا يعمل بالدعوة ولذلك سُمّي صابراً أو قاعداً.

وهذا ما رأيناه في قصة السيد المسيح الذي جاهد وأنتج الحواريين الذين راحوا يبلغون الدعوة كما فعل هو (المجاهد) وكذلك أنتج وعلّم من لم يقم بالدعوة (الصابر) لتعليم وتوسيع دائرة من يبنون مملكة الله. إن الجهاد هو بذل كل شيء أعطاه الله للإنسان من مال ونفس ووطن وأرض وعشيرة لبناء مملكة الله على الأرض، والذي يبدأ أولاً كما فعل سيدنا إبراهيم بالانعزال عن الطاغوت وعدم الاختلاط به وعدم قتاله وبذل الجهد الدؤوب المتراكم، وتوسيع دائرة الذين يؤمنون بمملكة الله. هذه هي وظيفة المجاهد ودوره، وإن للمجاهد درجة كبيرة عند الله لأنه خضع كلياً لأمر الله فاعتزل أولاً وبذل كل شيء في سبيل الله، لهذا قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: 24].

إن الله هنا قد حدد العوائق التي يمكن أن تقف أمام المجاهد وأعطانا مثلاً واضحاً، الأنبياء وكيف استغنوا عن آبائهم (إبراهيم) وأبنائهم (نوح) وأموالهم وأوطانهم (موسى) و(محمد) عليهم جميعاً السلام ومن هاجر معهم وكيف جاهدوا جهاداً كبيراً.

أما الصابر (الملتزم) فهو الذي أنتج نفسه فقط، ولم تكن له مساهمة فعالة في إنتاج وإرساء النواة التي تبني مملكة الله، إن الصابر كالمجاهد قد كفر بالطاغوت وتقوقع على ذاته وبقي وتحمل تبعات كفره بالطاغوت، إن الصابر يكتفي بعمل صالحة واحدة وهي الانعزال عن الطاغوت، وتحمّل تبعات ذلك من دون الخوض في الجهد الذي يترتب عليه إرساء مملكة الله، وإذا أردنا التمييز بينهما نقول أيضاً إن المجاهد يغيّر نفسه ويسعى لتغيير المجتمع، أما الصابر فهو الذي يغير نفسه ويكتفي بهذه الوظيفة، ولذلك فضّل الله المجاهد على الصابر وجعل مآب الصابر غير مآب المجاهد، وأعطى المجاهد درجة أعلى إذ قال تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: 95-96].

انظر إلى قوله وكلًّا وعد الله الحسنى أي المجاهد والقاعد، ثم انظر إلى رسول الله في غزوة تبوك ثلاثة نفر تخلفوا عن القتال فعزل الناس عنهم وهم في المجتمع لايكلمهم أحد، ولا يعاملهم أحد حتى أقاربهم وحتى نساؤهم، وضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم، وظنوا ألا ملجأ لهم من الله إلا إليه فتاب عليهم،

والمصحف يشهد على هذا فلو كان الجهاد هو القتال لما قال الله وكلًا وعد الله الحسنى، وهذا دليل من الله ودليل من رسوله أن الجهاد لا يعني القتال وكفى بالله رقيباً وشهيداً.

إن القاعدين هم الذين اكتفوا بتطبيق ما عليهم من دون أن ينتجوا من أمثالهم رغم أنهم بذلوا الجهد بالصدع والانشقاق، فوصفهم الله بالقاعدين وأعطاهم درجة ومنزلة أقل.

الجهاد في سبيل الله والجهاد في الله

لقد ميز الله بين نوعين من الجهاد أولهما الجهاد في سبيل الله والثاني الجهاد في الله، وجعل هناك فروقاً لنوعي الجهاد المبذولين ولدرجة مسارهما.

الجهاد في سبيل الله: هو بذل الجهد في تعليم بناء النواة وإنتاج أفراد مثله، مثلما فعل السيد المسيح حين علّم الحواريين لتبليغ رسالات الله ونشر دينه بلا خشية من أحد سوى الله. والجهاد في سبيل الله يكون بالمال والنفس أو بواحد منهما، وبالهجرة وتحمل الظلم والحرمان والأذى الجسدي والمعنوي، والمجاهد في سبيل الله يعاني عدة أمور ألمح إليها الله وهي: الظمأ، التعب، المخمصة، يطأون موطئاً يغيظ الكفار، ينالون من عدو نيلاً. إن الله يصف

الذي يقوم بواحد أو بكل الأشياء على أنها هي العمل الصالح الذي يقوم به المجاهد في سبيل الله.

يقول الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [التوبة: 120].

ويمكن تلخيص ذلك بأعمال الرسول والصحابة في مكّة ثم الهجرة إلى المدينة.

الجهاد في الله: هو بذل الجهد أيضاً في تعلم أركان بناء مملكة الله والتفقه بالدين، وكذلك الجهد المبذول في السمع والطاعة، الصراع النفسي للإنسان عندما تُؤخذ الخيارات الصعبة.

إن دراسة متأنية لآيات الجهاد في المصحف تعطينا فكرة واضحة على أنه ليس في كل آيات الجهاد كلمة قتل متضمنة في الجهاد، فالمفهومان متباعدان في الزمان والمكان والهدف، إن الجهاد بنوعيه في سبيل الله وفي الله هو بذل جهد وتحمل مشاق لتكون كلمة الله هي العليا في الأرض، والجهاد بشقيه هو المشقة التي يفرضها الإنسان على نفسه لبناء مملكة الله على الأرض (بالاستجابة والالتزام)، إن المجاهد هو الذي يقود وينتج ويكاثر وهو شبيه بمن كثرت ذريته، والصابر هو الذي يكتفي بنجاة نفسه وهو كالذي لا نسل له في الأرض، لقد جاهد إبراهيم حين وُضِعَ في النار

فأنقذه الله. وبذلك حق قوله تعالى على إبراهيم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: 69].

فكان سبيل إبراهيم هو سبيل الأنبياء جميعاً، لقد ربط الله تعالى الإيمان بالجهاد إذ قال: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ١٥﴾ [الحجرات: 15].

أي الذين أطاعوا الله والرسول وزال الود من قلوبهم لكل من حاد الله.

إن الجهاد يبدأ في النفس وتغيير ما فيها ومن ثم العمل على تغيير المجتمع وحين يتحقّق هذان النوعان يأتي اليسر الذي تحدث عنه الله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا ٦﴾ [الشرح: 6].

فالعسر الذي يعانيه المجاهد يلحقه يسر في الدنيا والآخرة، إن نتيجة الجهاد الذي هو عمل الصالحات، هي الدرجات العُلى في الآخرة، والاستخلاف في الأرض بعد زوال شبكة الطاغوت التي تسيطر عليها.

ولعل الشيء المركزي في مفهوم الجهاد هو هدفه، فالهدف من الجهاد ليس الدفاع عن النفس أو الوطن أو الأهل، إنما هو فقط إرساء دعائم مملكة الله التي خلقنا الله لبنائها لا كما نريد نحن بل كما يريد الله هو، إن الأوطان والعشائر والأهل ليسوا أولياء المؤمن وإنما الله هو الولي وكل ما عدا ذلك دعاه الله وليجاً أي دخيلاً.

إن الجهاد الذي تحدث عنه الله بأنه هو الجهاد الأكبر هو التزام أوامر الله وعدم إطاعة الكافرين والانعزال عنهم. فهل مجتمعنا مجتمع مجاهد بهذا المفهوم؟ وهل الإمام مجاهد بهذا المفهوم؟ إن الله عدّد خطوات الجهاد بـ:

1-الاغلاظ على الكافرين

2-عدم الطاعة

3-الصدع

4-الهجرة

5-عدم الولاء للكافرين

فأيّ من هذه الشروط الخمسة تنطبق على الإمام وعلى البابا الجالس على عرش روما؟ إن الطاغوت هو ولي الإمام والبابا وكلاهما لم يصدع عن المجتمع ولم يهاجر ولم يغلظ على الكافرين، بل على العكس يغلظ على الناس ثم يدعي بأنه ينادي باسم الله، فأي منها ينطبق على الذين يرفعون شعار الجهاد في سبيل الله؟

فلو بحث الإنسان عن كلمة الجهاد ومشتقاتها لوجدها (41) مرة وفي تسع عشرة سورة، ولن يجد في أي منها أية إشارة توحي أن الجهاد هو القتال كما رأينا ذلك بوضوح، وسنوضح ذلك بشكل أعمق وأدق في البحث القادم، وهو القتال وأسبابه وشروطه حيث أن الله قيّد القتال والقتل بشروط محددة وحرم ما سواها إذا لم يكن هناك دليل ولا إشارة على أن القتال هو الجهاد. فمن أجل من يقاتل الذين

يدعون الإسلام، و الكل يعلم أن الرسول قال: "صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنة".

أخيراً إذا كان الاستخلاف هو ثمرة الجهاد في سبيل الله فإننا نعلم بأننا لا نعطي الجهد المطلوب منا لله تعالى، ولذلك أَجْلس الله على رقابنا الطواغيت طوال ألف وأربعمائة سنة، ولا يزال الطواغيت يتناوبون على رقابنا. ولن يتم نصر الله لنا إذا لم ننصره ولم نشيد دعائم مملكته بالجهد واجتناب نواهيه. وفي نهاية هذا البحث ليس لي إلا أن أورد قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧﴾ [محمد: 7].

أما أن تحمل كلمة الجهاد معنى القتل من دون حجة وبرهان من كتاب الله فهذا هو الافتراء، قال الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ۝١١٦﴾ [النحل: 116].

وهذا أحد أسباب عدم فلاح المسلمين اليوم.

مفهوم القتال ودوره في مملكة الله

تكلمنا سابقاً على مفهوم الجهاد وألمحت بشكل مقتضب إلى أن الجهاد لا يحتوي في مضمونه ومفهومه معنى القتل، وقلت إن لكل منهما معنيين ووظيفتين مختلفتين. وفي هذا البحث سأتحدث عن:

كيف؟ وأين؟ ومتى؟ ولماذا؟ يكون القتل.

إن كلمة (قتل) استخدمت أول ما استخدمت على لسان أحد ابنَي آدم. فحين همّ قابيل بقتل هابيل، لم يدافع هابيل عن نفسه وإنما قال: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾ [المائدة: 28].

لاحظ هنا أن الأول يتبع الهوى (هوى النفس) بينما الآخر ملتزم شروط التقوى المدونة في المصحف من جهة والتي هي وصايا المسيح والمدونة في الكتاب المقدس من جهة أخرى ولا خلاف بينهما.

إن الله أراد لنا أن نأخذ هذه الإشارة من كتابه بأن قتل الآخر لا يجوز حتى في الدفاع عن النفس، وهذا ظلم أي

هو تعدٍّ على حدّ من حدود الله، ومن هنا استبعد لنا الله هذا العنصر من عناصر القتل وحذرنا منه.

وإذا عدنا إلى المصحف الشريف وتتبعنا آيات القتل فإننا نرى بأن القتل مشروط ومكبل بأغلال كثيرة، وهو لا يكون جزافاً كما هو حاصل اليوم، وإنما قونن الله القتل والمقاتل وشرط القتل وزمانه ومكانه بقوانين صارمة وبحدود حادة لا يستطيع المسلم (المستجيب) تجاوزها، وحرّم القتل في مواضع، ثم جعل القتل أمراً ملزماً للإنسان.

متى يكون القتل أمراً للمؤمن؟ (فرض عين)

للقتال شروط خمسة تجدها إذا تتبعت صراط الذين أنعم الله عليهم في المصحف الشريف وهي:

1 - قيام مملكة الله (كما أمر الله قيامها وليس كما يفعل الطاغوت)

2 - أن يبدأوكم القتال

3 - أن يكون القتال في الدين وليس لأرض أو مال أو سلطان... إلخ.

4 - استمرارية القتال

5 - الايمان (وجود المؤمنين) و(وجود المتقين) لأنه هو المخاطب أي أن الذي سيقوم بعملية القتل (الأمر) هو المؤمن والمتقي فقط.

المؤمن هو: المستجيب الملتزم الذي زال الود من قلبه لمن حاد الله وصدع عنه.

قال المولى سبحانه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوا ۛ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: 189-195].

إذا رجعنا إلى تلك الآية ووضعناها في مختبر للتحليل فإننا نجد بأن القتل هو فعل أمر من الله. (وقاتلوا) ولا يمكن لأحد سواه أن يقوم بفعل الأمر كما نرى طغاة الأرض اليوم وهم يأمرون جنودهم بالقتال، إن فعل الأمر هذا محدد.

إن الله هو الذي يأمر بالقتل أي أن الطاغوت ليس له أن يأمر بالقتل.

إن هدف القتال سببي، فالقتال سببه (سبيل الله) وهو لا يكون دفاعاً عن النفس بدليل أحد ابني آدم، ولا دفاعاً عن

الوطن بدليل أن الأنبياء تركوا أوطانهم وهاجروا ولكن فقط في سبيل الله، هذا من جهة الهدف. أما من جهة مَنْ نقاتل، فلقد حددهم تعالى بشرط، هذا الشرط هو جملة شرطية أيضاً، أي إذا قاتلوكم اقتلوهم، أي أن القتل يكون فقط للذي يبدأ القتال (المعتدي). ولقد اعتبر الله أن الذي يبدأ فعل القتال هو معتدٍ، وقال إنه لا يحب المعتدين. إن الله قد قلب الإنسان من مهتدٍ إلى معتدٍ إذا ابتدأ فعل القتال، لقد شرط الله اعتداء الآخر على المتقي كفعل مسبق بأكثر من موضع إذ قال:

قاتلوا <---- الذين يقاتلونكم

أخرجوهم <---- من حيث أخرجوكم

لا تقاتلوهم <---- حتى يقاتلوكم فيه

فإن قاتلوكم <---- فاقتلوهم

فإن اعتزلوكم ولم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم <---- ما جعل الله لكم عليهم سبيلاً. إن هذه الشرطية هي بمثابة خريطة يستخدمها المقاتل لتحديد هدفه ولتصويب طلقاته بالاتجاه الصحيح، ولتحديد نقطة الانطلاق، فالمتقي هنا لا يبدأ بفعل القتال وإن كان في سبيل الله، ولقد قيّد الله المتقي بقيود كثيرة.

إن المعتدي البادىء بالاعتداء حين يوقف اعتداءه فإن الرخصة أو المنحة التي أعطاها الله للمتقي يبطل مفعولها،

أي أن القتل لا يكون انتقاماً من الأعداء، فإن انتهوا عن القتال فإن المتقي ملزم بالانتهاء والتوقف كما أمره الله.

إن الله كما حدد هوية الذين نقاتلهم، كذلك حدد هويتنا نحن المقاتلين بالمتقين انظر الآية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ. . . وَقَٰتِلُواْ﴾ فتطبيق شروط التقوى العشرة والالتزام بها شرط أساسي قبل القتال لأن المخاطب هم المتقون.

فالخطاب عندما يقول أنتم يعود إلى المتقين فمن هم المتقون؟

لقد حرم الله عليهم عشرة أمور إن التزمها الإنسان كان تقياً.

﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ. . . لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: 151-153].

لقد حدّد الله درجة القتال فقال: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: 194].

ويجدر بنا هنا أن نقول إن المتقي قبل دخول القتال عليه أن يتحلى بصفات وأركانها التقوى التي أولها يدرء بالحسنة السيئة أي إذا ضربته على خده يدير لك الآخر، وعندما تراه في ساحة القتال تكتشف حقيقته هل هو مهزوم مستضعف، أم قويّ ملتزم. لذلك ترى بعض البسطاء والجهال يقولون كيف تستطيع أن تخيف من يأتي إليك ويفجر نفسه؟

هذا يدل على مدى جهل الغرب بهذا الدين فهو يراه

ضعيفاً مستغلاً من قبل طواغيت لا يقاتلها، ويظن أن ذلك عن ضعف وهزال، لذلك قلت في بداية كتابي إن البيت الأبيض ومستشاريه من العرب وغيرهم لا يدركون ما هم مقبلون عليه.

غير أن ماهية درجة الرد يجب أن تكون متماثلة، ولا يجوز للمتقي أن يزيد الدرجة لأن القتل والاعتداء ليسا منحة أو وساماً يعلقه الأبطال على صدورهم، وإنما هما حمل ثقيل وعبء لدرء الخطر عن المملكة التي أُنشئت بالجهاد وليس بالقتال.

متى يكون القتل نهياً للمؤمن والتقي؟

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: 8-9].

إذا رجعنا إلى هذه الآية ووضعناها في مخبر التحليل أيضاً، فإننا نجد أن الله قد حدد لنا فئتين من البشر فئة نتعامل بالحسنى معها وهي «الذين لم يقاتلونا في الدين» (أي لم يرفعوا سلاحاً عليك لأنك قلت ربي الله) وأمرنا أن نبرّهم ونقسط إليهم.

والفئة الأخرى هي التي أمرنا الله بالابتعاد عنها وعدم

الولاية لها، «وهم الذين يقاتلونكم في الدين وأخرجوكم من دياركم»، ووصف الله الذين لا يمتثلون لأمره ويختلطون بهذه الفئة بأنهم من الظالمين. وفي باب آخر قال الحق إن الظالمين هم الكافرون. لذا، فإن الفئة الثانية هي التي أمرنا الله بقتالها إذا بدأت القتال وليس بالولاية لها.

إذاً، فالإنسان مقيد ببداية الطريق ونهايتها، وبهدفه وبمن يتعرف على الطريق وبمن يجتنب. ولقد وضع الله لنا فئتين على الطريق:

1- فئة ألزمنا بالتناحر معها وقتالها وهم الذين يبدأون القتال، وحدد الله درجة القتال على أنها مثله وليس أكثر أو أقل.

2- فئة ألزمنا الله بالبر لها وبالقسط بالتعامل معها وهي الفئة التي لم تقاتل وبقيت مسالمة فلم تعتد ولم تبدأ أحداً بالقتال ولذلك قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾﴾ [النساء: 90].

ولذلك قال الله تعالى أيضاً: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: 61].

إن آيات القتال في المصحف كثيرة وهي تحدد آلية القتال وطبيعته وحدوده، ولكن المسلم ضلّ الطريق ومشكلته أنه لا يدري أنه ضل، لأنه بدون الرجوع إلى الضوابط والحدود التي وصفها الله ليس في الأفق هداية. إنه من الضرورة

بمكان إدراك التعاريف التي أوردها في هذا الكتاب والكتاب الذي سبقه (جاهلية العنف).

إن هذه التعاريف التي استخلصتها من المصحف الشريف مع سنن الله هي بمثابة الحروف الأبجدية لدين الله، ولا يمكن لفهم سليم أن يكون دون هذه الأبجدية سواء أخذتها من كتبي أو من المصحف الشريف، وكتبي هي بمثابة دليل إلى وجود التعريف في المصحف الشريف.

إن الفكرة المركزية لمفهوم القتال هي الحفاظ على أركان مملكة الله التي أدى غيابها إلى نشوء أربعة أمور:

1 - الطغيان

2 - البغي

3 - الظلم

4 - الفساد

لذلك ترى أن العولمة في الأرض تحتضنها طواغيت الأرض وتؤمن بالبغي فتثمر فساداً.

انظر إلى قول المسيح عليه السلام (من ثمارهم تعرفونهم)

ان الفكرة المركزية لمفهوم الجهاد هي إعلاء كلمة الله، قبل نشوء المملكة وبعدها يكون القتال إذا تداعت شروطه لحماية مملكة الله التي أنجزت بالجهاد فقط دون القتال، لأن الطاغوت هو الذي يبني مملكته بالقتال والاكراه أما رسل الله فلا يبنونها بالقتال أو الاكراه. لذلك ترى المسيح عليه

السلام يقول: (لا تقاوموا الشر) متّى الاصحاح الخامس (39).

ويقول أيضاً: (الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون) متّى الاصحاح السادس والعشرون (52). وهذه سنّة رسل الله جميعاً.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [فاطر: 43].

لذلك ترى الصحابة يقولون لرسول الله لقد كان الناس يهابوننا في الجاهلية يا رسول الله، فيقول صبراً آل ياسر إن موعدكم الجنة، حتى أنشئت مملكة الله فقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [الحج: 39].

بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: 40-41].

ولذلك تجد الله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَظِلَٰلُهُم بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴿١٥﴾﴾ [الرعد: 15].

تسجد لله طوعاً باتباع سنة الله التي اتبعها الأنبياء لا إكراه في الدين قد تبيّن الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم، والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور.

أو تسجد لله كرهاً بأن يسلّط عليك طواغيت الأرض وهؤلاء يأتون إلى الحكم بالاكراه والارهاب (ولكنهم يسمّون ذلك ثورة أو انقلاباً) ولذلك سمي كرهاً، وكلاهما تعرفه من ثماره. وقد ترى الإنسان في الأرض جائعاً عارياً مقتولاً مذبوحاً مطارداً مغصوب الحقوق، (القذافي يدفع دية القتيل مليوني دولار والمقتول في أفغانستان أو العراق قدره عشرون دولاراً هذا إن دفع له وفي فلسطين وروانده والبوسنه والشيشان لا شيء... أنت الحكم وأنت من يسمع ويرى فقرر).

الوجه الآخر من موضوع القتال هو أنه كان محرّماً قبل بناء المملكة ثم أصبح فرض عين والدليل قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ [الحج: 39-40].

ما معنى أُذِنَ؟

فهو قوتل ولم يقاتل، وأُخرج من دياره ولم يقاوم، وكان مسالماً صابراً مستجيباً ملتزماً ما أنزل الله ثم فُرض القتل عليه وهو كاره له، انظر قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: 216].

﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج: 41].

يعني ذلك التزام أركان الإسلام أي تحريم الفواحش وتحريم الإثم وتحريم البغي وتحريم الشرك وتحريم افتراء الكذب على الله.

إن اللافت للنظر هنا قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي الذين لم يستولوا على الأرض ولم يغتصبوا الأرض من أصحابها.

ثم يحدد الله القتل بأنه قد يكون خطأً، وحتى هذا القتل الخطأ، يقول الله تعالى إن الإنسان يجب أن يكفر عنه. إنه حتى في هذا المجال الذي لم يقصد الإنسان القتل فلقد أغلظ الله عليه ليُكَفِر عن خطأه الفادح إذ يقول تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ

مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: 92-93].

لقد جعل الله دية القتل الخطأ إصلاحاً في المجتمع سواء أكان تحرير رقبة، أو دية، أو صياماً يؤدى لتدرك النفس وبال أمرها.

أما القاتل عمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وقد غضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً. فلنضع هذه الآية في مختبر التحليل نجد:

من يقتل مؤمناً متعمّداً

جزاؤه جهنم خالداً فيها---> غضب الله عليه ---> لعنه ---> أعدّ له عذاباً عظيماً.

لا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً.

فهل أبلغ من هذه الآية في وصف الذين يقتلون الناس الآن؟ إن المسلمين يتجهون إلى القبلة خمس مرات في اليوم ويقولون في صلاتهم:

﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ

عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ [الفاتحة: 6-7].

والصراط المستقيم مدون في المصحف الشريف بشروطه العشرة في سورة الأنعام، الآية (151 - 153) ثم يذهب المسلمون ليسألوا علماء الطاغوت ليفتوا لهم عن القتال أو التصويت في الانتخابات العراقية، فيا لها من مأساة! عندما جاء أشعيا ونظر في حال بني إسرائيل قال: (الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما إسرائيل فلا يعرف شعبي لا يفهم) أشعيا الاصحاح الأول (3).

وفي نهاية هذا البحث أقول كثيراً ما تطفو بعض المفاهيم فتطغى على غيرها، مما يحمل الفكر على مواجهة ضغوط الراهن بما تعانيه الأمة في هذه الفترة من تاريخها، كما عانت وعلى مدى عصور طويلة، حيث يبدو الأفق مظلماً تحت سواعد الغدر التي تحيط بنا وتدفعنا إلى التفكير في أسباب الواقع الذي نعيشه كبشر في هذه القرية الصغيرة وتحمل المسؤولية وخاصة عندما ندعي الصبر والالتزام.

ومن هنا رأيت أن أقوم بهذا الواجب بإلقاء الضوء والتشخيص الدقيق لمعالجة الاشكاليات المحيطة بالجهاد من جهة والقتال من جهة أخرى.

النــاس

قلنا إن المصحف مقسّم إلى خمسة علوم متداخلة ومتواشجة، وتداخل هذه العلوم بعضها ببعض يُسمّى الدين. . . وهذه العلوم الخمسة هي:

1- الله

2- الإنسان

3- سنن الله

4- كتب الله

5- خلق الله

وسأتحدث لاحقاً عن كل موضوع على حدة مركزاً على موضوع الإنسان والله وسننه وعلاقتهم بعضهم ببعض، وكيف تكون هذه الشبكة المتداخلة، وعلاقة كل موضوع بالآخر، فمثلاً ما علاقة الله بالإنسان؟ أو ماعلاقة الإنسان بالكون؟ وما علاقة الكتب بالكون؟ وما علاقة الله بالكون؟ ما هي الكتب؟ من هو الله؟ من هو الإنسان؟ حتى نتبين هذه الشبكة التي اسمها الدين وكيفية ترابط أعضائها بعضها ببعض، لأن ذلك سيميط اللثام عن الغموض الذي يلفّ الدين ووظيفته وجوهره.

الإنسان

إن مفهوم الإنسان في المصحف موزع إلى أقسام مختلفة، في البداية أعطانا الله ما كان قبل كينونة الإنسان، ثم عرف الله الإنسان، ثم أعطى خصائص علاقة الإنسان بالله وبدينه وبالآخر، وعلاقة الإنسان بالأنبياء.

بداية تحدثنا عن أنه اختار الإنسان قبل خلقه لحمل أمانة إعمار الكوكب الذي يعيش عليه وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [البقرة: 30].

ولقد رضي الإنسان بهذا التكليف في حين رفضت الجبال أن تحمل الأمانة، ولقد أضحى الإنسان يطحنه الاستبداد وينخره اليأس الناشئ عن تغيب الكرامة وفرص الحياة الكريمة وفرص العمل والرفاه المعقول واحتكار السلطة وتراكم الثروات بيد أقلية وشيوع الطبقات، إلى آخر ما ترسمه وتحتويه لوحة الكآبة لمشهد الحياة على الكوكب الصغير. في هذا المستنقع يعيش هذا الإنسان ولكني أقول إن هذا ليس هو المرض، بل أعراض المرض فإذا عرفت الداء ثم أعطيت الدواء فسترى كيف ترحل أعراض المرض عن هذا المريض في الأرض، بعد أن كرمه الله فحمل الأمانة ورضي بهذا التكليف إنه كان ظلوماً جهولاً.

لقد ضل الإنسان عندما اعتقد أن انتماءه وولاءه هما لخرقة تُسمى (العلم) ونسي أنه كان يجدر به أن يكون ولاؤه للذي خلقه لا لخرقة ترفرف على عمود، فلم يدرك الإنسان سبب الأمانة التي حملها فأضحى تائهاً ينخره اليأس فقال المولى سبحانه: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النحل: 76-77].

ليتمكن الإنسان من أداء واجبه وليصل إلى الهدف الذي يرمي إليه، والذي من أجله خلق على هذا الكوكب، وليكون فاعلاً صابراً مجاهداً حيث فاعلية الإنسان المسلم مكبلة بالشلل الروحي من جهة والمعنوي من جهة أخرى ومقموعة بعقدة الخوف السرابي المضخم، فلا بدّ من تحريره أي «الإنسان» روحياً ومعنوياً وتحرير طاقاته من قيود طواغيت الأرض ومن قيود ثقافات رجل الدين المزيفة التي أضحت أفيوناً تشل حركة هذا الإنسان الذي كرمه الله.

ولقد أدرك المسيح هذه الحالة عند الإنسان فسكب الدواء على الداء إذ قال لرجال الدين: (يا أولاد الأفاعي كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار) متّى الاصحاح الثاني عشر (34).

كما أدرك فساد رجال الدين ثم طغيان طواغيت الأرض وبغي رجال الأعمال فقال: (أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم

يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلا يكون هكذا فيكم بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً ومن أراد أن يكون فيكم أولاً فليكن لكم عبداً كما أن ابن الإنسان لم يأت ليخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين) متّى الاصحاح العشرون (25 - 28).

وحواجز الخوف والتهيب من الأنظمة المحلية المتحالفة مع طواغيت الأرض تشل حركة النواة (الإنسان) فتراها لاتدري كيف تغير أوضاعها فلابد لحفظ الطاقة المهدورة من بناء هذا الإنسان معنوياً وإنسانياً ليكون فعالاً، وليس أمام هذا الإنسان إلا طريق واحد وهو أن يبني طاقته الروحية واتصاله وولاءه للذي خلقه، وأن يتجاوز عقدة الخوف السرابية التي يعيشها في عالم التضليل من رجال الدين الذين أصبحوا عثرة في الطريق فلا هم يدخلون الباب ولا يدعون أحداً يدخل باب النجاة من هذه الكآبة البائسة، فالتحرر من علماء الطاغوت من جهة والطاغوت من جهة أخرى ضرورة لابد منها، لأن أركان التحرر كامنة في الإنسان ذاته لكنها لا تظهر نتيجة للخوف والاضطهاد الفكري والمعنوي، فإذا لم تقتلع جذور هذا الاضطهاد فستبقى طاقات الإنسان مكبلة كامنة في ظل هذه المحنة المزدوجة التي يعيشها المسلم اليوم، فمن أين ينبغي أن تنطلق حركة التغيير؟

إنه لابد من التغيير الجذري الذي يتعدى أنصاف الحلول والمصالحة مع الطاغوت أو رجل الدين الجالس في حضنه

من جهة أو الذي يريد قتله من جهة أخرى، ولا بد من تدمير أصنام الحزبية والقومية وتجنب أبواق السلطة لتحديد أسس الولاء، وترسيخ علامة الانفصال (الصدع) عن الذين لا يأتمرون بأمر الله سواء في الأسرة أو المجتمع، وأن يدرك الإنسان أن الطاغوت والإمام يدعوان إلى الوحدة، والله يدعو إلى الصدع والاعراض.

ولكي يتم بناء النواة (الإنسان) وليقر في الضمير شرع الله ويغرس في عمق الفكر وجذوره فرائضه وأصوله، وليكون ارتباط النفس والضمير مباشرة بالخالق، ولتدرك النواة ما يريده الخالق وما لايريد وما يحب وما لايحب فذلك مرتبط باتساع دائرة المعرفة لدى النواة بدرجة اتساع دائرة الطاعة والالتزام والتفاني للخالق، فلا يستطيع بعد ذلك رجل السياسة أو فقهاء الطاغوت أن يتلاعبوا بالنواة ولا بأركان هذا الدين

ولقد قسّم الخالق سبحانه مراحل ضلال هذا الإنسان وهدايته نحو أربعين طوراً، وسنأتي على بعض منها ليكون تعريف هذه الأطوار حاضراً في فكر النواة.

ما هي صفات الإنسان؟

إذا عدنا إلى المصحف نجد أن الله يعطي صفات للناس فيقول:

- ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى

ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: 122].

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة: 8-12].
- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾﴾ [البقرة: 207] ﴿فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾﴾ [البقرة: 200].
- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾ [البقرة: 204-206].
- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت: 10].

- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾﴾ [لقمان: 6-7].
- ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾ [لقمان: 20-21].
- ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٢﴾﴾ [الحج: 11-12].

من هذه الآيات السالفة الذكر نستطيع أن نأخذ نموذجاً لبني الإنسان وعلاقته بربه، والصفات التي نميزه بها، والمصير أو المآل الذي ينتهي إليه. وهي لمحة لتحديد المسلم وتمييزه من المؤمن ثم التقي والكافر... إلخ، ولكي تستطيع النواة أن تعرف الناس من جهة وأمراضهم من جهة أخرى.

ما هي علاقة الله بالإنسان؟

إن علاقة الله بالإنسان حددها الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ [الحج: 65].

من هذه النقطة تتسع الدائرة ويأخذ كلٌّ مساره إلى منتهاه، وتتضح الصلة بين الله والإنسان كما تتمثل في خطاب الله للإنسان، وهي تقوم على تعليم الله الإنسان منشأه ومنتهاه وليعلمه المنهج الذي فيه خيره وسعادته.

- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ﴾.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.
- ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾.

المتّقـون

لقد حدد الله تعالى شروطاً للتقوى وجمعها في آية واحدة من سورة البقرة (177) وقال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

هذه الشروط متدرجة من الايمان بالله وصولاً إلى الصابرين في البأساء والضراء فالبأس، وهي الشروط التي إن مارسها الإنسان يدخل في عداد المتقين.

إن الله لم يحدد شروط التقوى فقط بل حدد فئات المتقين أيضاً وصنّفهم ضمن فئين:

الفئة الاولى: تؤمن بالغيب وتقيم الصلاة ومما رزقناهم ينفقون.

الفئة الثانية: تؤمن بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون.

هاتان الفئتان تشملان سلسلة الأنبياء فالفئة الاولى هي

التي آمنت بالغيب ودونت ما قال المسيح عليه السلام المخبر عنه في الكتب، ولم تدون ما أوحي للمسيح عليه السلام والفئات التي سبقته واتبعت الرسل وما أوحي إليها والتي ورث المسيح كتبها لذلك قال المسيح: (كل شيء قد دفع إلي من أبي) متّى، الاصحاح الحادي عشر (27).

هذه الكتب التي دفعت إليه والتي أوحيت للرسل والنبيين من قبله هي التي قال عنها: (تضلون إذ لا تعرفون الكتب) متّى، الاصحاح الثاني والعشرون (29).

وكان كل نبي أو رسول يرث من كان قبله ولذلك تجد في الكتاب المقدس (كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا) لوقا الاصحاح السادس عشر (16).

أي أن يحيى عليه السلام كان هو الوارث قبل المسيح عليه السلام ولذلك قال المسيح: (وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم إلى الأبد روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم) يوحنا، الاصحاح الرابع عشر (16 - 17).

تعرفونه وهو ماكث معكم، أي لو نظرتم إلى ما هو مدون في المصحف الشريف لوجدتموه مطابقاً لما علمكم إياه المسيح والمدون في الكتاب المقدس، ولكنّ أكثر الناس لا يفقهون معناه.

والفئة التي آمنت بمحمد عليه السلام المخبر عنه في

الكتب وما أُنزل من قبل أي الكتب التي ورثها عن المسيح، أوحاها الله لمحمد مرة أخرى وهي تشكّل سبعة أشكال مختلفة للقرآن، ولذلك فهذا المصحف هو سبعة قرائين مختلفة ولا قرآناً واحداً، وهذا ما قاله محمد عليه السلام أوتيت القرآن على سبعة أحرف أي أوتيت القرآن على سبعة أشكال والحرف باللغة العربية هو الشكل.

ولقد اختلف العلماء إلى أربعين رأياً حول هذا الموضوع، أنظر «كتاب الاتقان في علوم القرآن»[10] تأليف شيخ الإسلام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة 911 هجرية.

«وهذا الحديث من رواية جمع من الصحابة أبي بن كعب، وأنس، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وسلمان بن صرد، وابن عباس، وابن مسعود، وعبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعمر بن الخطاب، وعمر بن أبي سلمة، وعمرو بن العاص، ومعاذ بن جبل، وهشام بن حكيم، وأبي بكرة، وأبي جهم، وأبي سعيد الخدري، وأبي طلحة الأنصاري، وأبي هريرة، وأبي أيوب. فهؤلاء واحد وعشرون صحابياً وقد نص أبو عبيد على تواتره، وأخرج أبو يعلى في مسنده أن عثمان قال على المنبر

---

(10) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن السيوطي، ص61، دار المعرفة، بيروت. كذلك كتاب غيث النفع في القراءات السبع، علي النوري الصفاقسي.

اذكر الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وسلم قال إن القرآن أنزل على سبعة أحرف كلّها شافٍ كافٍ لما قام فقاموا حتى لم يحصدوا فشهدوا بذلك فقال وأنا أشهد معهم وسأسوق من رواتهم ما يحتاج إليه فأقول اختلف في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً أحدهما... إلخ»[11].

هاتان الفئتان متعاكستان في الاتجاه الزمني، فالفئة الأولى آمنت بالذي سيأتي من بعد والفئة الثانية قد آمنت بالذي قد أتى من قبل. هاتان الفئتان تندرجان في دين واحد وتقعان ضمن طائفة المتّقين، والكتاب المشار إليه في سورة البقرة والذي هو هدى للمتقين جميعاً موجود في المصحف الشريف ولذلك قال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣﴾ [البينة: 2-3].

إن الله تعالى قد سلط الضوء على المتقي بأكثر من اتجاه فلقد وصفه تعالى بأنه هو الذي جاء بالصدق أو صدّق به، ثم قال إن أولياء الله هم المتقون. وإذا عدنا إلى سورة البقرة 177 نجد أن الله تعالى قد ربط البِرّ بالتقوى وجعل شروطهما متلازمة.

إن تعريف المتقي هو في غاية الأهمية لأن التقوى هي الصفة التي تتصف بها النواة التي تبني مملكة الله، فالتقوى

---

(11) الإتقان في علوم القرآن، مرجع مذكور.

لها عشرة أركان إن طبقها الإنسان كان تقياً، فهي ليست كما يدعي علماء الطاغوت بل هي الالتزام والممارسة في أرض الواقع وإذا عدنا إلى تعريف الله نجد ذلك متضمناً في قوله سبحانه وتعالى:

﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (152) وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)﴾ [الأنعام: 151-153].

"قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم".

1- ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾

2- ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

3- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾

4- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

5- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)﴾

6- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾.

7- ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾.

8- ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾.

9- ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾﴾.

10- ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

إن نظرة دقيقة إلى هذه الآية تبيّن لنا شروط التقوى المحصورة بين عدم الشرك بالله واتباع الصراط المستقيم الواحد للإله الواحد أولاً. أي بين الإيمان المتمثل بعدم الشرك والعمل المتمثل بالسير على صراط الله المستقيم وسنته التي اختطها وحده ثانياً.

وإذا تابعنا رحلتنا في المصحف نجد أن الله يعرف المتقي ويلقي الضوء على صفاته من منظار آخر وزاوية أخرى متمثلة في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ

بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُواْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: 177].

هنا أيضاً يضع الله شروط التقوى التي يربطها بالذين صدقوا، كما يربطها بالبرّ أيضاً في حلقة متكاملة، وإذا نظرنا إلى التعريفين السابقين نستطيع أن نكتشف شروط التقوى التي على الإنسان السير بها للوصول إلى المرحلة التي تؤهله لبناء مملكة الله.

فالتقوى والايمان والإسلام والصبر والجهاد والكفر والشرك ليست مجرد ألفاظ بل هي تحمل في طياتها أموراً في غاية الدقة وتنطوي على شروط وبنود وعهود وميثاق. وبدون هذا الفهم الدقيق والعودة إلى التعريف بحذافيره ومعرفة أصوله ومنبعه، لن يصل الإنسان إلى إدراك ماهية هذا الدين وما يحتويه من عجائب وكنوز.

وإذا رجعنا إلى مسيرة الأنبياء نجد أنهم سألوا أقوامهم التقوى، أي أنهم سألوهم أن يتمسكوا بالشروط التي تحدث عنها الله لبناء مملكته، وإن جميع الأنبياء قد تمسكوا بحبل التقوى وبالصراط المستقيم، وليس المتقي هو الإنسان المسلم (المستجيب) لصلاة أو صوم أو حج، فالاستجابة هي الاستجابة لهذه الأمور العشرة وما يتفرع منها إذ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: 131].

فوصية التقوى لم تكن لفئة أودين بل جاءت للجميع، وهذا هو الدين-الدعوة إلى هذه الأمور العشرة.

وكذلك قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ [المؤمنون: 51-52].

أي أن الذي يتبع نبياً فإنه يتبع جميع الأنبياء، لأن رسالة التقوى أتى بها جميع الأنبياء فهي الطريق المرسوم للفلاح بعد الهداية، لأن الله الرب الخالق الواحد الرازق الذي لا شريك له ولا أنداد من أحزاب وقوميات أرسل ديناً واحداً له أركانه التي ذكرناها سابقاً، والتي هي خمسة ثم فرّعها الله إلى عشرة فلو نظرنا إلى هذه الأركان العشرة لوجدناها محصورة في البنود الخمسة التي ذكرتها سابقاً، وما تراه أو تسمعه اليوم في المساجد والكنائس إنما هو دين مزيّف ورجاء كاذب وهواجس سرابية لا تملك نفعاً بل تؤدي إلى ضلال مبين.

فرسل الله دعوا الناس إلى أن يتّقوا ربهم أي أن يقيموا هذه الأركان العشرة التي وصّى بها المسيح عليه السلام حين قال إن حفظتم وصاياي وقد تحدث عنها وبينها للناس وهي مدونة حرفياً ولكنهم راحوا يحمّلون كلماته معنى آخر كالذي يريد أن يخفي الشمس بالغربال.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ [الصف: 8].

وهذا ما تذكره أحد ابني آدم حين قال له أخوه:
﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ [المائدة: 27].

لأن هابيل قد تذكر أن الله قد قال: لا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق وجعلها أحد شروط التقوى، وهابيل كان تقياً متمسكاً بها فقال: ﴿مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٨﴾ [المائدة: 28].

فقد رفض قتل أخيه وبيّن سبب رفضه «أخاف الله رب العالمين» أي أنه متمسك بشروط التقوى إيماناً وعملاً.

فلم يبسط يده لقتل أخيه الذي همّ بقتله ولو دفاعاً عن النفس لأن القتل وكما يعلم هابيل لا يكون حتى دفاعاً عن النفس، لأن التقوى هي الدعوة من الله إلى الإنسان إذ قال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: 2].

السؤال المطروح الآن هو:

هل السنّة أو الشيعة عندما قتل بعضهم بعضاً كانوا مثل قابيل أم هابيل؟

وهل كانوا يتعاونون على البرّ والتقوى أم على الإثم والعدوان؟

نترك الجواب للقارئ الكريم.

لقد أدرك الفائزون معنى الاثم وطريقه ومعنى البرّ والتقوى وأركانها.

وجعل مآب المتقين (المعية) الإلّهية إذ خص المتقين بأن الله وليهم إذ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الجاثية: 19].

إن هذه الصلة بالذي خلق فسوّى تمد الإنسان بالرصيد حين يأتي العسر ويكون مدداً لا ينقطع وزاداً أنفس من متاع الغرور في مواجهة الواقع لإيثار الحق خشوعاً للذي خلق والاستعانة بهديه ليدخل دائرة الذين يسجدون لله طوعاً إذ يمارس شروط السجود.

المفلحون

لا بد لمن يبحث عن الهدى في المصحف الشريف أن يأتي إليه بقلب سليم حذراً لا تستهويه الضلالة أولاً، وأن يدرك أن مفاتيح الهدى موجودة في السماء وأنه سبحانه شديد المحال ثانياً، ولقد أدرك الأنبياء قول الحق سبحانه: ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [الأعراف: 198].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [يونس: 100].

وجاء في القرآن على لسان نوح عليه السلام: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: 34].

وهذا الأمر يعود إلى سنّة من سنن الله في المصحف الشريف حيث يقول سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: 146].

فإنّ يقظة الضمير وشفافية الشعور والخشية المستمرة والحذر الدائم في الإيمان أولاً، والعمل الذي هو مرآة الإيمان ثانياً، كل ذلك حجر الأساس لمن يبحث عن الهداية والفلاح. فكما أسلفنا، لا تستطيع أن تملأ قارورة بالماء إن لم تخرج ما بها من هواء، فالإنسان يمتحن مرة أو مرتين كلّ عام.

فبعد أن تتخطى أشواك الشهوات والمطامع والمطامح ثم تتخطى متاع الغرور ثم تتجاوز الهواجس والمخاوف الكاذبة وتدرك أن الوطن والقومية والعشيرة والأهل والأبناء كلها لا تملك لك نفعاً ولا ضراً، تعلم إذّاك أنها كلها خزعبلات لا قيمة لها، وأن النفع والضرر بيد من خلق السماوات والأرض، وأنك ستقابله بمفردك عاري اليدين والقدمين حاملاً على ظهرك ما صنعته يداك هنا على الأرض.

فطوبى لمن آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر.

إن الإنسان لا يستطيع أن يعمل الصالحات أو يوصي بالحق والصبر من دون هذه الحالة في الوجدان وهذا الشعور بالضمير واتصال الإنسان بربه في سره وجهره لتزول الحجب وتنجلي البصيرة وتنفتح الآذان ليبدأ الإنسان بالعمل لبناء مملكة الله على الأرض لا كما يريد هو بل كما يريد رب العالمين.

قال الأستاذ الفاضل جودت سعيد[12]: «لا يتحقق عمل ناجح بغير إخلاص وصواب، فما لا نريده ولا نخلص له لا نعمله، وما لا نعرف طريق تحقيقه لا نسعى إليه، ولو سعينا إليه بغير طريقة فلا نصل إليه».

وقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [آل عمران: 104].

لاحظ كيف بين الله معنى الفلاح بفعل الخير والنهي عن المنكر كالخميرة في العجين.

فالله سبحانه يأمر بالعدل إذا كنت حاكماً بين الناس أو بالإحسان إن لم تكن حاكماً بين الناس، ولقد بيّن سبحانه المنكر وحرّمه فقال إنه

حرّم الشرك

وحرّم الإثم

وحرّم الفواحش

وحرّم البغي بغير الحق

وحرّم على البشر أن يقولوا على الله ما لا يعلمون.

وهذا هو المنكر فلا مكان لعبودية إلا لله ولا مكان

---

(12) مقدمة كتاب «العمل قدرة وإرادة»، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

للتلقي والاستمداد إلا منه سبحانه وله الطاعة والعبودية وحده ولا أحد سواه.

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: 7-9].

هذه الصورة الوضيئة رفعها المولى على الأفق في إطار النور فتجلت من وراء تلك النصوص الآصرة القوية الوثيقة التي تربط أتباع هذا الدين أولهم بآخرهم في تضامن وتكافل وتوادّ وتعاطف، ووشيجة القربى العميقة فتخطت الجنس والنسب وتفردت ورسبت في الضمير تحت راية الذي خلق فسوّى وأخرج المرعى أملاً في لقاء الرؤوف الرحيم.

إن هذه الصورة الرائعة تمثل حقيقة غائبة في واقع الذين يدعون الالتزام والطاعة والذين يؤمون الناس اليوم في بيوت الله (إنهم لصوص ماكرون فاجرون).

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾ [النور: 51].

انظر إلى حال المسلمين اليوم وهم يحتكمون إلى طواغيت الأرض المتحدة تدرك من هم المفلحون.

﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [المؤمنون: 102].

انظر إلى أركان التقوى وشروط الفلاح ثم انظر إلى أعمالك وولائك لطواغيت الأرض كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً (افت نفسك ولو أفتاك المفتون).

﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُواْ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [التوبة: 86-88].

الخوالف: بينا في ماسبق معنى المسلم أي المستجيب لله ورسوله، وقلنا إن المؤمن هو الذي زال الود من قلبه لمن يحاد الله، ثم بينا أن المجاهد هو الذي يفعل الخير ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أو هو الذي يعمل لبناء مملكة الله لينتج المجاهد والصابر، أي الذي لا يكتفي بفرض العين بل هو تواق إلى فرض الكفاية، وأن الصابر هو الذي اكتفى بفرض العين وشيئاً من العمل الصالح، وقلنا إن القاعدين نوعان اثنان قاعد أي صابر اكتفى بفرض العين من دون سبب صحي أو عجز جسدي أو مادي، وصابر لديه عجز جسدي أو مادي. والآن نريد أن نتطرق إلى فئة ثالثة من القاعدين وهم الخوالف: أي الذين تخلفوا ولم يقوموا بفرض العين

ولا بفرض الكفاية ولذلك سمّاهم الله بالخوالف الذين طبع الله على قلوبهم وجعل عليهم الرجس ووصفهم بأنهم لا يعقلون ثم وصفهم بأنهم لا يؤمنون.

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأعراف: 8].

بينا أن الحق هو الذي جاءت به رسل الله وهو الميزان الذي تزان به الأمور لا ما يقال في المساجد والكنائس.

والذي جاء به الرسول الكريم النبي الأمي هو مجموع ما أوتي الرسل جميعاً.

﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف: 156-157].

يحمل الناس اليوم خرافات تعدد الأديان فاقرأ بنفسك ما سبق من قول الحق سبحانه وستعلم، ثم انظر إلى الآية التالية التي تقسم المتقين إلى فئتين اثنتين فئة كانت في الماضي وفئة جاءت بعدها، ثم انظر إلى كتاب المتقين المشار إليه بذلك

فإنه واحد، ثم استمع إلى ما يقوله علماء الطاغوت الجالسون في حضنه.

﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ [البقرة: 1-5].

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٥ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٦﴾ [التغابن: 15-16].

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٢٢﴾ [المجادلة: 22].

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٣٨﴾ [الروم: 38].

﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ۝٦٧﴾ [القصص: 67].

نستنتج مما سبق ما هو طريق الفلاح فنقول:

إن التقوى طريق الفلاح

وإن الجهاد طريق الفلاح

وإن عبادة الله وفعل الخير طريق الفلاح

وإن التوبة طريق الفلاح

وإن تذكر الله وابتغاء فضله هما طريق الفلاح

وإن تذكر آلاء الله طريق الفلاح

وكذلك عرّف الله الإنسان المفلح وحدّد من هم غير المفلحين، فقال:

- ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: 21].
- ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾﴾ [يونس: 17].
- ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ... وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس: 77].
- ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: 117].
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ [النحل: 116].
- ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: 10].
- ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ابراهيم: 15].
- ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: 111].

إذا كانت خطوات الفلاح المتدرجة واضحة فهل يصبح السير باتجاه النور الذي تحدث عنه الله أسهل؟... هل بإمكاننا أن ندخل عداد المفلحين إذا عرفنا شروط الفلاح؟...

الصالحـون

الدين في المجتمع هو بمثابة المناعة في الجسم، وفساد الدين في المجتمع يؤدي إلى الفساد في المجتمع، والدين في حقيقته لم يكن في يوم من الأيام أداة للوصول إلى السلطة، فعندما تستعمل الأحزاب الدينية الدين للوصول إلى السلطة فهذا هو فساد الدين، وهذا تزييف للدين الحق، فالدين في حقيقته هو جهاز المناعة المعطل في المجتمع، فعندما ترى في المجتمع الإسلامي الفساد والإنقسام والتخلف فهذا دليل على فساد الفكر الديني.

بداية؛ إن تمييز المصلح والمفسد هو من علم الله وحده، ويقول المولى سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ﴾ [البقرة: 220].

ولذلك نرجع إلى علم الله فنجد المولى سبحانه يعدد الصالحين فيقول: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۝١٢٣﴾ [النحل: 120-123].

كما يعدد الله رسله وأنبياءه ويصفهم بالصالحين فيقول: ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا. . .﴾ [الأنعام: 85-86].

انظر كيف يرفض المسيح عليه السلام أن يصفه الناس بالصالح فيقول: (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً كما أسمع أدين ودينونتي عادلة لأني لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الذي أرسلني إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً الذي يشهد لي هو آخر وأنا أعلم أن شهادته التي يشهدها لي هي حق أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق وأنا لا أقبل شهادة من إنسان ولكني أقول هذا لتخلصوا أنتم) يوحنّا، الاصحاح الخامس (30 - 34).

ثم يتابع قوله: (فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي ولا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة مجداً من الناس لست أقبل) يوحنّا الاصحاح الخامس (39 - 41).

بعد هذا الحديث تقدم رجل وقال للسيد المسيح عليه السلام: (أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحيوة الأبدية).

فأجابه المسيح: (لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله، ولكن إن أردت أن تدخل الحيوة فاحفظ الوصايا قال له أية الوصايا فقال يسوع لا تقتل لا تزن لا

تسرق لا تشهد بالزور أكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك... الخ) متّى الاصحاح التاسع عشر (16 - 19).

لو تأملت ما قاله المسيح للرجل لرأيته يوصيه بشروط التقوى المدونة في المصحف الشريف، الأنعام (151 - 153).

ثم يقرر المولى شروط الصلاح فيقول: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: 69-70].

ثم يؤكد المولى فيقول: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: 113-115].

وهكذا نجد إذا تابعنا البحث في المصحف الشريف قول الحق سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ [العنكبوت: 8-9].

إن تعريف الصالحات مفصل في سورة هود، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا

لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: 84-88].

هذا الحوار بين شعيب وقومه يتضمن نص تعريف الإصلاح الذي يتمثل في أمور وهي:

1- شق علاقة الإنسان بالله (اعبدوا الله ما لكم من إله غيره)

2- شق علاقة الإنسان بالإنسان

3- وآخر علاقة الإنسان بالبيئة (التي يعيش فيها)

(لا تنقصوا المكيال والميزان، ولا تعثوا في الأرض مفسدين).

المكيال --------------- علاقة الإنسان بالإنسان

الميزان ---------------- علاقة الإنسان بالبيئة

شاء الله أن يجعل للإنسان إرادة ثم شاء الله أن تكون الهداية ثمرة للاستجابة، إن هذا الدين لا يتحقق بمجرد

إبلاغه للناس أو بيانه إنما يتحقق بأن يجعله الناس غاية همهم ووجودهم ومنتهى آمالهم وأحلامهم وأن يكون هوالمحور الذي تدور حوله حياتهم فالإنسان فعال لما يريد. الاصلاح أو الفساد وليس هناك خيار آخر، بمعنى أن تقسيم الله للبشر يعتمد على حصيلة عملهم وولائهم للذي خلقهم.

يقول الله تعالى بأن الفئتين غير متساويتين عند الله:

- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ﴾ [غافر: 58].
- ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص: 28].
- ﴿قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [الطلاق: 10-11].
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ [يونس: 9].

ثم يخبرنا بمآل الصالحين فيقول: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: 105-107].

بمعنى إن لم تر الرحمة ثمرة في الأرض للعالمين فاعلم أن الدين الذي يحملونه في نفوسهم هو مزيّف وبعيد عن الدين المدوّن.

- ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: 55].

فإن لم يستخلفنا الله وبقيت طواغيت الأرض تطغى وتفسد في الأرض والرحمة مفقودة في الأرض كل الأرض فاستنتج أنت بذاتك وتفكر، انظر إلى مايحدث في العالم أجمع ثم انظر إلى تعريف الفاسقين الذي سبق.

إن وراثة الأرض تتحقق بعمل الصالحات لا بقتل الناس ولا بالولاء لطواغيت الأرض أو الصلاة وراء أئمة الفساد في الأرض.

- ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ١١٢﴾ [طه: 112].
- ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾ [طه: 75].

فإذا أراد الإنسان تحقيق رفقة الأنبياء في الآخرة وحياة الكرامة في الدنيا فعليه أن يعمل الصالحات التي قام بها الأنبياء، وعليه أن يقتدي ويهتدي بهديهم لا بهدي طواغيت الأرض ولا بأئمة الكفر. إنه من الضرورة بمكان أن يدرك الإنسان على من ينطبق قول الحق سبحانه إذ يقول: ﴿وَمَن

ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾ [البقرة: 8-18].

الكفار

إن الهروب من متاهات الحاضر للتخبط في مطاوي الماضي لا يفيدك شيئاً. أقم الخلوة مع نفسك ليأخذ الحوار سبيله بينك وبين ذاتك، لتدرك مشكلة ذاتك، وسبب وجودك، ولمن يكون ولاؤك.

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: 21].

هذا إن أردت أن تكون مع من خلقك، فاسترق السمع إلى كلماته، واعرض نفسك على ميزان صراطه، ثم انظر إلى أعمالك، وقارنها بأسماء من خلقك.

لقد أعطى سبحانه علامات تميز بها من كفر فقال:

- ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾﴾ [الأنعام: 1].
- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ﴾ [البقرة: 257].
- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: 76].
- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ﴾ [محمد: 3].
- ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: 56].
- ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ

مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [آل عمران: 151].

- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ [الأنفال: 73].
- ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأحقاف: 3].
- ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ [البقرة: 254].
- ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: 14].
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: 44].
- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: 34].
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: 83].
- ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾ [البقرة: 171].
- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: 150-151].

من خلال استعراض علامات الكافرين نستطيع أن نحدد صفاتهم وفق الجدول التالي:

من كفر

1- يحتكم إلى الطاغوت.
2- يستجيب إلى الطاغوت.
3- صم بكم عمي لا يعقلون.
4- يسوي بين من خلق وبين من لم يخلق شيئاً.
5- اتبعوا الباطل.
6- قلوبهم غير آمنة مطمئنة وملأى بالرعب.
7- ظالمون (يتعدون حدود الله).
8- لا يحكمون بما أنزل الله.
9- يسجدون لله كرهاً وليس طوعاً (كإبليس).
10- الشيطان قرينه.
11- زيّن للذين كفروا مكرهم فصدوا عن السبيل.
12- دعاؤه في ضلال.
13- يظن أن الله أنزل أدياناً مختلفة ويفرّق بين رسله ويدّعي أنه يؤمن ببعض ويكفر ببعض.
14- لا يحرّم ما حرّم الله.
15- يتبع الباطل (لا يتبع ما جاء به رسل الله) مثلاً جاء موسى وقال لقومه لا تقتل، فترى طواغيت الأرض ترسله من حرب إلى أخرى ليقتل.

من خلال الجدول السالف نستطيع أن نطبق صفات الكافر التي أوردها الله على المجتمع الذي نعيش فيه

ونقيس، فهل ما زال المجتمع الإسلامي إسلامياً أم أنه انقلب إلى الكفر وهو لا يدري؟

إن الله سبحانه يعطينا معياراً للكافر هو أن الذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ويقاتلون في سبيله فمن ولي المجتمعات الإسلامية؟

- هل الله أم طواغيت الأرض التي تحكم؟
- هل يقاتل المسلمون الطاغوت أم في سبيله؟
- هل خاض المسلمون حرب الكويت والعراق وغيرها في سبيل الله، أم لأن طواغيت الأرض حكمت بذلك؟
- هل يسوّي المسلمون بين الله والطاغوت (يقولون لبيك اللهم لبّيك ثم يعودون ليقولوا بالدم بالروح نفديك ياطاغوت)
- هل أعمال المسلمين بناءة أم أنها كرماد في يوم عاصف؟
- هل يدعو المسلمون ربهم ليلاً ونهاراً انصرنا ودمر أعداءنا وانصرنا على الكافرين؟ هل يستجيب الله لدعائهم؟
- هل يحكم المسلمون بما أنزل الله أم أنهم يحكمون بما تهوى أنفسهم؟

وإذا كانوا يحكمون بما أنزل الله فلماذا لا يجتنبون الطاغوت، وقد أُمِروا أن يجتنبوه وأمروا أن يكفروا به. إن معنى المسلم هو الذي استجاب لربه، والمسلمون لم يستجيبوا فهم أصلاً غير مسلمين.

وهذا ما عبر عنه الشيخ محمد متولي الشعراوي رحمه

الله في كتابه هذا هو الإسلام[13] إذ قال: (نحن في الواقع لسنا مجتمعاً إسلامياً).

أسئلة كثيرة على الإنسان المسلم (المستجيب) الوقوف عندها قليلاً للتفكر والتدبر. إن الله قد عرف الكافر وجعل الكفر والإيمان بيد الإنسان ولم يجعل لأحد سلطاناً على الناس ليؤمنوا أو يكفروا، حتى الأنبياء، إذ قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [الكهف: 29].

إن الله تعالى لم يعطِ أمراً لأحد بقتل الكافر لكفره فقط بل لاعتدائه بدليل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾﴾ [إبراهيم: 13-14].

إن ضلال الكافر بيد الله وعلى الإنسان جهاد الكافر لا قتله بدليل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَجَـٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ [الفرقان: 52].

إن الله قد أمر الإنسان بأن يتبرأ من نظيره الإنسان إذا كان كافراً، سواء كان الآخر أباً أو ابناً أو قوماً أو عشيرةً، إذ قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا

(13) مرجع مذكور، محمد متولي الشعراوي.

بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: 4].

إن إبراهيم تبرأ من قومه حين كفروا لأن الله أمره بأن لا يكون ظهيراً للكافرين، أو يكون ولياً لهم.

إذ ظن المسلمون أن الصلاة والصوم والزكاة والحج والشهادة هذه هي أركان الإسلام، لَهُوَ ظن باطل، وهذه كلها جزء صغير جداً من دين الله الحق والمدون في المصحف الشريف، فأساس الدين أن تكفر بالطاغوت ثم تؤمن بالله بدليل قول الله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾﴾ [البقرة: 256].

وقال الحق أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: 60].

المشـرك

لقد جعل الله تعالى مكان البيت دليلاً مادياً على وحدانيته، ولتجبى إليه ثمرات كل شيء وجعل زيارة البيت من قِبَل كل الناس إقراراً بتلك الوحدانية، ولعل الدعاء الذي يطلقه الإنسان وهو يطوف بالبيت خير دليل على ذلك، إذ يقول الإنسان الحاج: "لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك". هذا الدعاء قد يقوله بعضهم بلسانه أو يردده ولكن لا يطبقه في حياته العملية، ولا يعلم تماماً ما معنى لا شريك لك... ولذلك نراه عندما يعود إلى بيته وحياته الاعتيادية يمارس أشكالاً من الشرك الخفي والعلني، الشرك تحت وطأة حياة الاستبداد والحاجة رغم أن مضمون هذا الدعاء يمثل الدين كله. والله تعالى يقول: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: 26].

لاحظ «لا تشرك بي شيئاً»

لاحظ «لا شريك لك لبيك»

ثـم قـال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ

لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48].

لاحظ «لا يغفر أن يشرك به»

إن جريمة الشرك في المصحف الشريف من أكبر الجرائم التي يحاسب عليها الله سبحانه عباده ولا هوادة في هذا الأمر أبداً. أنظر كيف قال إنه لن يغفره أبداً، ثم انظر كيف سماه افتراء ثم سماه إثماً ثم قال «عظيماً»، ثم قال إن الله ورسوله تبرءا من المشرك ثم كررها مؤذناً فقال: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: 3].

لاحظ أن الله ورسوله بريئان من المشركين.

فوصفهم تارة بالفسق ثم قال إنهم معتدون ثم وصفهم بأنهم اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ثم قال إنهم صدّوا عن السبيل ثم وصفهم بأئمة الكفر ثم وصفهم بأنهم لا إيمان لهم ثم قال إنهم همّوا بإخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة ثم قال لا تنكحوا المشركين ثم قال لا تستغفروا للمشركين ثم قال أخيراً اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم. إذا بحثت في المصحف الشريف لن تجد فيه هذا الكم العظيم من الوصف الدقيق، ومع أهمية هذا الموضوع ورغم كل هذا التحذير فإن قليلين من الناس يدركون خطورته.

لاحظ هنا أن الله لم يقل اقتلوا الكافرين.

لقد ذكر مرتين اثنتين «قاتلوا الكافرين» إذا اعتدوا عليكم

في الحال الأولى، وإن لم يستقيموا معكم في الحال الثانية. فقد جاء الكفر دائماً مشروطاً، إلا الشرك فإنه كان موضع التشديد.

إن أي شرع آخر أو مشرّع آخر يتبعه الإنسان ويخالف تشريع الله يعد شركاً خفياً، وإن غُلِّفَ هذا الشرك بطابع ديني.

وهكذا لا ولن يُغفر لإنسان يكون شريكاً لله في ملكه فهو ملك الناس وهو إلّه الناس، وهناك أمور محددة مبينة ظاهرة لا يرضى الله بأن تمس.

هذه الحملة الطويلة هي في غاية الحساسية والقوة، حاسمة الدلالة، عميقة التأثير، ظاهرة في أسلوب الآيات التي اقتطفتها وصيغ التأنيب والتهديد والتوكيد المكررة لكشف مدى جريمة أن تجعل للذي خلق شريكاً، وتبيان مدى حساسية هذه الجريمة، ولا استغراب عندما تدرك أن أركان الدين هي:

1 - أن لاتشرك بالله
2 - أن لا تفتري الكذب على الله
3 - أن لا تأتي الفواحش
4 - أن لا تأتي الاثم
5 - أن لا تبغي على الناس بغير الحق

والمشرك قد نقض الأولى والثانية وأحل لنفسه أن يرتكب

ما بعدهما، بمعنى آخر قال الله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾.

﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾.

﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾.

﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ﴾.

المشرك لا يريد أياً من هذه، بل يريد أن يكون طاغياً في الأرض يفعل بالعباد ما يشاء يرسلهم إلى الحروب متى يشاء ويقتل من يشاء ويعفو عمن يشاء.

ويفعل بالبيئة ما يشاء ويُعزّ من يشاء ويُذلّ من يشاء، ويعطي الفيزا وتأشيرة دخول وتأشيرة خروج لمن يشاء، ويقسم الأرض كما يشاء ويعطي الجنسية لمن يشاء ويمنح الماء لمن يشاء ويقطعه عمن يشاء، وبيده كل شيء فهو الشريك للذي خلق البشر.

والله يقول: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: 28].

لو نظرنا إلى موكب الرسل الكرام على مدى التاريخ البشري لرأينا أنهم كانوا يبغون أمراً واحداً هو تعريف الناس بإلههم الواحد وربهم الملك الحق وتعبّدهم له ونبذ ربوبية طواغيت الأرض، فكلمات الحق تنمي في الإنسان وعيه للتحدث إليه، فإذا أدخلت فيه مما ليس منه دمرت في

الإنسان القدرة التي تنمي وعيه، في متاهات الظلام اللامتناهية، وذلك لأن ما يستطيع الإنسان إدراكه ووعيه واكتشافه يتوقف دائماً على المجال، والمدى المحدود عنده، والذي تمنعه إشكاليته الراهنة من وعيه، فإذا لم ترع هذا العطاء فقدته. فالسمك لا يعيش من دون الماء.

انظر كيف بدأت دعوة الرسول الكريم

«نبذ الشريك لله» «لا إلّه إلا الله»

إنها ليست فلتة عارضة للذين حاربوا جميع رسل الله فهذا هو محور الدين كله.

إن فكرة الشرك دقيقة جداً وقد تأتي بأبسط الأمور أو أعقدها. . . وعلى الإنسان أن يفكر في كل خطوة، فإلّه الإنسان قد يكون الله أو هواه أو الحاكم أو الحزب أو القومية أو العادات والتقاليد أو غير ذلك، لأن كل صغيرة وكبيرة قد شرعها الله، وإزاحة شرع الله والخضوع لشرع آخر هما إشراك وشرك من الإنسان.

إن الوحدانية هي فكرة مركزية في الدين، ولقد جاهد الأنبياء لترسيخ الفكرة وهدم الأصنام الحجرية واجتناب الطغاة، ولكن وعبر التاريخ كان مقابل كل صنم حجري هُدِمَ مئات الأصنام في لباس العرق والقومية والحزب والطائفية، ولم يتم اجتثاث فكرة الصنم من جذورها وإنما ظهرت فروع للأصنام التي كانت تعبد.

الصفة الأساسية للألوهية هي الخلق، فملك الناس هو

الذي خلق الناس وليس الذي طغى على الناس، وليس الذي بغى عليهم، فالطغيان والبغي على الناس جريمتان يرتكبهما الذين يروّجون للديموقراطية التي ارتكبها طواغيت الأرض وحرمها الذي خلق الناس، وهذا هو سبب بؤس البشرية في الأرض لذلك قال سبحانه:

- ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: 191-192].
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾ [الحج: 73-74].
- ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾﴾ [الرعد: 16].
- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾ [فاطر: 40].

لقد ظن الإنسان المسلم أن مفهوم الشرك قد انتهى

بتحطيم آخر صنم كان يعبده الأعراب. ولكن مفهوم الشرك قد دخل من باب آخر وبمفهوم آخر، وظن الإنسان أنه مؤمن ولكنه يشرك وهو لا يعلم، ولذلك قال الله تعالى:

﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: 106].

إن العودة إلى الله سبحانه مشروطة بأن لا يجعل الإنسان للذي خلق شريكاً آخر، إقرأ قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [المؤمنون: 58-60].

إن تصحيح مفهوم الشرك وفق معيار الله ضروري خاصةً في التاريخ المعاصر لأن الطغاة قد تعددوا أو الشركاء قد كثروا، وقد لبس كلٌّ قبعة الإخفاء ليخفي صورته وليبعد عن ذهن الإنسان بأنه شريك له، فأتى الشركاء الجدد بمفاهيم مثل الديموقراطية، وحكم الشعب، والحرية الفكرية والعقائدية، فظن الإنسان الضعيف أنه مالك نفسه ومشرع حياته، بل ظن نفسه إلّهاً وأنه يستطيع الاستغناء عن الله.

لقد أتى إبراهيم وقطع الصلة التي كانت تربطه بقومه ولم يقل إننا وجدنا آباءنا من قبل وأشرك، بل أعلن أنه لا إلّه إلا الله وانفصل بذلك عن التيارات أو الاتجاهات، وحطم إبراهيم الأصنام وحطم الصلة التي كانت تربطه بقومه، وأزال الود من قلبه لكل من حاد الله حتى تتم شروط عدم إشراكه بالله. ولم يطع إبراهيم قومه وتبرأ من أبيه قال الله:

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: 114].

إن مفهوم الشرك يضع الناس في خانة (عدم السواء) أو التساوي، مع أن الله قد خلق الناس جميعاً من آدم، وخلق آدم من تراب وجعلنا جميعاً متساوين في الحقوق والواجبات والمكانة والمنزلة من حيث المنشأ، ثم أضاف بأن المنزلة ترتفع أو تنزل بحسب أعمال الإنسان. أما مفهوم الشرك فإنه يضع إنساناً فوق إنسان، أو فكرة فوق الإنسان، أو حزباً أو قوماً أدى إلى ذلك، ولم يجعل لأحد سلطاناً على الإنسان، حتى الشيطان جعل الله سلطانه فقط على الذين يتولونه وليس على الذين يؤمنون بالله. ولذلك يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩) إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ (١٠٠)﴾ [النحل: 98-100].

وكذلك أيّ طاغية ليس له سلطان على الذين آمنوا بل على الذين يتولونه ويجعلونه شريكاً لله في ملكه.

إن إطاعة الطاغوت وجعله شريكاً لله انتقاص من كرامة الإنسان الذي كرّمه الله تعالى وهذا هو طريق الشرك إلى الإنسان الاطاعة، اسمع قوله سبحانه:

﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)﴾ [الأنعام: 121].

الفاسق

يعرف الله الفاسق بأنه الذي كفر بعد الايمان، ثم يعرفه بأنه الذي نسي من خلقه ثم يصفه بالنفاق ثم يعطينا الصفة التي نستطيع بها تمييزه فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [المائدة: 47].

وهنا سؤال يطرح نفسه، هل يحكم حكام المسلمين بما أنزل الله؟

هل يحكم أئمة المسلمين بما أنزل الله؟

هل يحكم عامة المسلمين بما أنزل الله؟

وفي آية أخرى يقول الحق تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

فهل قول المسلمين لبيك اللهم لبيك في مكة ثم يعودون إلى مملكة الطاغوت والهتاف لبيك يا ملك. . .لبيك يا رئيس هو نفاق؟

إذا أردنا أن نعرف كيف نحكم، علينا أن نعلم ماذا أنزل الله، وهذا لا يتأتى إلا بالعودة إلى كتاب الله، فالله في

كتابه أنزل أن اعبدوا الله، والإنسان إما عامل عند الطاغوت أو مقاتل له والله تعالى أعطى حكماً واضحاً هو (اجتنب).

فهل عدم الحكم بما أنزل الله هنا يحولنا إلى فاسقين؟ هل يحولنا إلى منافقين؟ وهذا ما حصل لإبليس إذ أعطى الله له أمراً ففسق عن أمر ربه ولم يطبقه، إذ يقول الله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ﴾ [الكهف: 50].

إن عدم إطاعة حكم الله هو الفسق كيفما تجلى ذلك الرفض سواء كان مغلفاً بالعلم أم بالجهل، بالحيلة أو التحايل، أو التأويل أو ما إلى ذلك. إن الفاسق هو الذي يتبع أمراً غير أمر الله، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [آل عمران: 81-83].

ونقض العهد بين الله والإنسان

﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا ﴿٢﴾﴾.

ثم يبين لنا المولى سبحانه: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [البقرة: 26].

ثم يبين:

﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [المائدة: 108].

ثم يأتي إلى قوم نوح ويصفهم بالفسق ثم يأتي إلى فرعون وملأه.. الخ

فيقول: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ [النمل: 12].

﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات: 46].

فالفسق يأتي بالنسيان وكما قلنا في الفصل السابق فإن السمك لا يعيش بدون الماء. وكذلك الإنسان لا يستطيع العيش بدون كلام الله، وهذا ما دل عليه قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: 24].

وهكذا يموت الفاسق عندما ينسى لأنه ترك الايمان ولم يمارسه فأصبح آسناً ثم مات.

الضلال

لقد كثر الحديث عن الضال والفئة الضالة، وصار كل تيار يعتبر التيار الآخر ضالاً مستخدماً مقاييسه ومسطرته التي يقيس بها، وما تعتبره فئة ركناً من أركان الضلال لا تعتبره أخرى، وهكذا حتى أصبح المفهوم متشعباً ومضللاً في آن واحد. لذلك فإن العودة إلى تعريف الله للمفهوم وتحديده لفي غاية الأهمية خاصة في الظروف الحالية التي تمر بها ما تسمى المجتمعات الإسلامية، والله تعالى قال إنه هو العليم بالضال إذ قال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: 125].

تعريف الضال

يعرّف الله تعالى الضال فيقول:

- ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾﴾ [البقرة: 108].
- ﴿مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّوا۟ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ [النساء: 167].
- ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: 116].

الضلال هو اتخاذ عدو الله ولياً، نجد ذلك واضحاً في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾﴾ [الممتحنة: 1].

والضلال له نسق محدد يندرج في السفر من الايمان إلى الكفر، ولقد عرّفنا سابقاً الكفر والإيمان، وأصبح تعريف الكفر واضحاً كما بيّنا وكذلك تعريف الإيمان إن الله يبين أن الشرك به والصد عن سبيله وعصيانه وإحلال الكفر محل الإيمان هي مقومات الضياع ومفتاح الهلاك والذل والعبودية في الأرض، إن مساواة الله بالطاغوت، وإحلال نظام الطاغوت مكان نظام الله في أرض الله هما أساس ضلال الإنسان، لذلك يقول الله تعالى: ﴿فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الشعراء: 94-99].

ولقد نسي الإنسان أن الله تعالى قد أمره قائلاً: ﴿وَلَا

تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: 77].

هنا أعود إلى قطبية اعبد الله ---> واجتنب الطاغوت.

هذه القطبية التي تتأتى منها بذرة الضلال، فالله أمر باجتناب الطاغوت، والإنسان لم يطع الله فأضله. إنه قانون محكم وهو «قانون إذا وفقط عندما».

إذا أطاع الإنسان الطاغوت ---> أضله الله. لقد أشرك الإنسان الطاغوت مع الله بل وأكثر من ذلك، لقد نحّى الإنسان قانون الله، وسار وفق قانون الطاغوت، فالله قال لا تقتل إلا بالحق ثم بيّن ما هو الحق.

فهو ليس في سبيل الدفاع عن النفس أو الوطن أو لحماية عرش الطاغوت أو لتوسيع مملكة الطاغوت أو للسيطرة على الاقتصاد في الأرض ولا لمصالح شركات أعوان الطاغوت، لقد نسي أمر الله فأضله الله، هذا الضلال البعيد المبين. ولقد نسي الإنسان أيضاً أن قوة الطاغوت وَهْم وسراب، وأنه لا يستطيع أن يجلب للإنسان نفعاً أو ضرراً، إذ قال الله تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة: 105].

فالضرر لم يأت من الطاغوت بل جاء لأني لا أعرف الطريق فاتبعته، إذاً فعليّ أن أجد الطريق لا أن أقتل الطاغوت أو أعوانه بل أتبرأ منهم، فالطاغوت سيدمر ذاته وهذا ما عبر عنه المولى سبحانه إذ قال: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾﴾ [النساء: 76].

ولذلك قال الله:

﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: 165].

ولكن مشكلة المسلمين اليوم أنهم لا يصدقون كلام الله بل يصدقون أئمة الطاغوت وعلماءه الذين يقولون إن مصائبنا سببها أميركا وإسرائيل والاستعمار والاقتصاد والفقر... الخ كل شيء ما عدا أنفسنا والله يقول من عند أنفسكم وفي أنفسكم أفلا تبصرون. لا يبصرون، لا يسمعون، لا يفقهون، لا يعلمون، ثم يقول الله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ١٢٦﴾ [آل عمران: 126].

ثم يقول فقهاء السلطان إن النصر من عند أميركا (القوى العظمى)

يالها من مهزلة!!!

وجعل قانون «إذا وفقط عندما» على الشكل التالي:

إذا اهتديتم ---> لا يضركم من ضل

إن المصحف كله شبكة مترابطة بعضها ببعض محكم الآيات ومفصّل من لدن حكيم وخبير، ولذلك فإننا يجب أن نعرف كيف تترابط الأمور بعضها ببعض، كيف يترابط الاجتناب والضلال، وكيف تكون الهداية بمثابة فك هذا السحر الذي سموه قوة الطاغوت وإمكاناته. ولذلك قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣﴾ [طه: 123].

هنا أريد أن أتوقف قليلاً، وأصوغ هذه الآية وفق قانون «إذاً وفقط عندما»:

إذا اتبع الإنسان هدي الله ---> لا يشقى الإنسان.

وهنا سؤال يطرح نفسه بقوة الواقع: هل يشقى الإنسان المسلم في الأرض الآن، أم هو مطمئن وأعماله ليست كرماد؟ وإذا ربطنا هذا بقوله تعالى: ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾ [الرعد: 14].

فإننا نلاحظ كلَّ جمعة وفي كل مساجد الأرض أئمة (المسلمين) وهم يدعون ربهم:

«اللهم دمّر أعداءنا وأصلح حالنا وانصرنا وانصر الغزاة في برك وبحرك واجعل ثأرنا على من ظلمنا وانصر حكامنا ووفّقهم.. الخ».

السؤال:

هل استجاب الله لكم أو لأئمتكم؟

هل كان دعاؤكم في ضلال؟

﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [إبراهيم: 18].

فهل أعمال مؤتمرات القمة الإسلامية والعربية كرماد اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ أم هي درجات للتصحيح وارتقاء المجتمع الإسلاميّ؟!

لذلك تجارتنا خاسرة وأعمالنا لا تحسب لنا. . .بل هي هباء منثور ولهذا أيضاً يرسف المسلمون في هذه المهانة والمذلة ولذلك حق قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ [البقرة: 16].

إن تحويل مجرى حياة الإنسان من الايمان إلى الكفر هو الضلال بعينه، كذلك هو يأس الإنسان من الذي خلق الكون كما يئس الكفار من أصحاب القبور إذ يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ [ال عمران: 90].

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: 56].

ولا ينفع أن يعض الإنسان على يديه ويندم إذ يقول الله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ﴿٢٨﴾ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: 27-30].

لقد اتخذوا أئمة الطاغوت معلماً ودليلاً.

انظر إلى ابن آدم وهو يقول لأخيه لئن بسطت يدك إلي لتقتلني ما أنابباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب

العالمين، ثم انظر كيف انقسم المسلمون سنّة وشيعة يقتل بعضهم بعضاً، وأنت قرّر هل (السنّة والشيعة) يتبعون هابيل أم قابيل؟

وهل كانوا على الهداية أم على الضلال وهم يقتلون بعضهم بعضاً؟

نترك الجواب للقارئ الكريم ليستنتج.

الغافلون

قال سبحانه:

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ [الأنبياء: 1-3].

الغافل هو الذي غاب عنه من خلقه، وغاب عنه لمن يتجه، وغاب عنه لماذا يتجه؟ غاب عنه أنه لا لجاه أو متاع أو انتفاع إنما لوجهه سبحانه وكان أولى لقلبه أن يدق أنت يا ربّ مقصودي ورضاك مطلوبي، وكان عليه أن لا يتبع هواه لكي لا يكون أمره فرطاً وكان أولى به فأولى أن يكون قلبه حاضراً وأن لا يكون غائباً أبداً.

قال الشاعر:

رأيت الشيخ بالمصباح يسعى   له في كلّ ناحية مجالُ
يقول مللت أنعاماً وبهْماً   وإنساناً أريد فهل يُنالُ
فقالوا قد بحثنا ذا محالٌ   فقال فمنيتي هذا المحالُ

ليس في الوجود ميزان تقيم به سوى ميزانه ما أعظم شأنه سبحانه!

كيف عرّف الله الغافلين؟

1. ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾.
2. ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾.
3. ﴿وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾.
4. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾.
5. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: 179].

إن الله لا يهلك القرى بظلم إذا كان أهلها غافلين، لأنه ليس بظلّام للعبيد إنما يهلكهم لأنهم كذبوا وتولوا وكانوا عن آيات الله غافلين، فلما كذب فرعون وملأه اسمع قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأعراف: 135-136].

إنها سنت من سنن الله سبحانه إقرأ قوله سبحانه: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: 146].

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم: 42-43].

النبأ

وسط ظلام مطبق وعلى حساب الحوار والتفاعل والتلاقي، ووسط حالة الجمود الفكري والتجاهل والتنابذ والسلبية والصراعات والحروب، وطلباً للجاه والنفوذ والقوة والسلطان والمجد السلطوي، وباسم الديموقراطية وحقوق الإنسان، وعلى مسمع الملأ ومد النظر، يقتل الإنسان وتُهدر الحقوق وتستعبد الأمم وتحتجز الأملاك وتغتصب النساء وأئمة الدين لا يرون ولا يسمعون، (زايح عن ظهري بسيطه).

لذا لا بد من نقد ذاتي لتصحيح مسيرة الإنسان في الأرض، فلم يعد من المقبول بالنسبة إلى المخلصين في الأرض (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) السكوت عن أي أذى يتعرض له إنسان الأرض سواء باسم الدين أو الديموقراطية والحرية أو أي اسم آخر في جعبة الساحر.

ويزعم الذين يروّجون للديموقراطية الاعتراف بالأديان دون الانتماء إليها، ثم يهللون ويطبلون لأنهم أعطوا البشرية حرية الدين كأنهم إلّه يعبد، ويمنّون على الناس أنهم لم

يسلبوهم الحرية وهم متربعون على رقاب البشرية، إنما بغيكم على أنفسكم.

﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوۡلِيَآءَۚ﴾.

وبعد أن أفرغوا الدين من محتواه صار من الضرورة بمكان أن يدرك إنسان الأرض لماذا يبوّق هؤلاء لشيء لا ينتمون إليه. هنا يكمن سر الطغيان واستعباد الإنسان في الأرض؛ لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟ هم يدعمون طواغيت الأرض ما داموا يعملون لهم فإذا انقلبوا عليهم ترى جيوش (الديموقراطية) تأتي لتقتل الشعب تحت ذريعة التخلص من الطاغية، وفي الوقت الذي ينادون بالحرية وحقوق الإنسان يقولون الحرية لنا والطغيان لكم، ثم يظنون أن إنسان الأرض إنسان أحمق لا يستطيع أن يميز بين أبواق الديموقراطية وجرائم أيديها في الأرض وفي كل مكان. فجوع إنسان الأرض وعطشه هما من طغيان الديموقراطية وطغاة الأرض المتحدة. ويعتقدون أن إنسان الأرض إنسان أحمق وأن الرجال خلقوا متساوين أما الإنسان الأحمق فهو ليس من الرجال: إنهم يزنون بميزانين ثم يبوّقون عن الديموقراطية حتى أصبح المستضعف ينادي بها وهو على فراش الموت. والأدهى من كل ذلك أن تجد لصوص الأرض يدعمون هذا الوضع ويستعطفون الناس للتبرع لهم بثمن فنجان قهوة. وهم يريدون أن يسرقوا أموالكم وأن يحمدوا على ذلك، ولكن ربك لبالمرصاد وما ربك بغافل عما يعملون.

يسعى العالم الذي يتبنى الديموقراطية إلى إظهار الدين وكأنه مخالف للحرية الفكرية ليتمكن من زرع بذور النفور من الدين لتنفر منه البشرية، لأن طواغيت الأرض تدرك خطر الدين الحق عليها فهو يحرّم الطغيان والبغي وهما شريان حياة الطاغوت في الأرض، ولقد كانت ولا تزال مشاكل العالم المتسترة بالدين في حقيقتها خلافات حول المصالح والطغيان، فطواغيت الأرض تتستر بعباءة الدين والقومية والديموقراطية لاستعباد البشرية، أما الديموقراطية فيسمّونها اللعبة السياسية التي يتناوب من خلالها طغاة الأرض (الأحزاب السياسية والدينية والقومية) على استعباد البشرية، ولكن يبقى الحق أبقى وأقوى مهما اشتدّ الباطل وتخفى واستشرى.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت: 40-43].

إنه لكي تنهض هذه الأمة (إنسان الأرض) ذو العقيدة الصادقة والنفس المخلصة والإرادة النافذة ولتحقيق قيم الخير والعدل لإنسان الأرض كل الأرض لابد من فك قيود

المكبلين وإطلاق الضمائر من معتقلات الطائفية والقومية والحزبية، ولابد من كشف الذين يأخذون من الدين مركباً يمتطونه لمآرب في نفوسهم مستخدمين أبواق السلطة وعلماء الطاغوت، ولابد أن تصان كرامة الإنسان وحقه في الحياة الفضلى وأن لا يبغي عليه أحد، وينهض بالأرض ومن عليها محبة وسلام ووئام، ويغدو هذا الكون محراب السجود للفرد الصمد.

إن تجزئة الأرض إلى دويلات وأقطار تخدم سلاطين الأرض وطواغيتها والمبوّقين لهم، لكنّ عهدهم قد ولى فـــــالأرض كـــــل الأرض. ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ١٠٥﴾ [الأنبياء: 105].

كما أن تقسيم الأرض إلى دويلات تخالف السنّة الالهية وفطرة الإنسان ومصلحته العليا القائمة على التعاون والتبادل والتعارف لتتفاعل بين أبناء الأسرة البشرية انطلاقاً من الايمان بالإنسان وخدمته وتحريره من العبودية لغير الله من أصنام التسلط وألوان الاستغلال والبغي.

إنه لابد من إعادة النظر في مفهوم الدين فالدين ليس عقيدة مجردة ومستقلة عن الوجود، بل هو تداخل ووعي وصلة بين الخالق والمخلوق، والعالم والكون هما صلة بين وعي الذات والوجود وتبقى الغاية في جوهرها صلة الإنسان بالآخر وهي مرتبطة بالقيم والأخلاق لعيش مشترك وبناء عالم أفضل تسوده قيم الحق والعدل والكرامة.

قال الشاعر:

«وإذا أُصيب القوم في أخلاقهم
فأقِمْ عليهم مأتماً وعويلا»

«صلاح أمرك للأخلاق مرجعه
فقوّم النفس بالأخلاق تستقمِ

فالنفس من خيرها في خير عافية
والنفس من شرّها في مرتع وخِمِ»

إن تزييف الدين جريمة مسلكية فلنضع الحق بيننا ولنقل إنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين، وأسأل المولى أن يجمع البشرية على الحق لأن أساس الحوار هو الحب، وأن أتحرر من عصبيتي وأضعها تحت قدمي وأتحررمن ذاتي وأتعامل مع الآخر بالحب الحقيقي وأدرك أنني عبد الله سبحانه، وأن عليّ أن أحب لك ما أحبه لنفسي، وعندما تفوح رائحة الاخلاص من كلماتي والحب في معاملتي وأصغي إلى الآخر وهو يصغي إلي حينذاك لا بد أن تحف بهذا السبيل الحكمة التي تحصنه وترعاه، ولعلي أخطئ في تعبيري عما يدور في خلدي ولكنني لا أخطئ الهدف. ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾ [الممتحنة: 8].

إن الدعوة إلى المحبة والتعاون على البرّ المتبادل والذي تشيع شبكته بين الناس لهي حصن حصين، فلا بدّ من بعث

جديد للإنسان إنسان الأرض الممزق ولابد من إدراك أن الجهل عدو الحوار، ولابد من القضاء على التجهيل والتجاهل لأن احترام الآخر لا يكون إلا على أساس معرفته حق المعرفة لارتياد آفاق الحوار الواسعة. ولكي تستكمل النفس الإنسانية تصور الأمور وتصديقها فكراً وواقعاً وحسب المقدرة المتاحة للبشرية من المصحف الشريف من جهة، وكلمات المسيح عليه السلام من جهة أخرى، لا بد من إدراك هذه الحكمة الخفية وإعمال العقل والتفكر والتدبر.

إنه من الوهم والخرافة الظن أن هناك إسلاماً ومسيحية ومن الوهم الاعتقاد أن الكنيسة تستطيع تنصير المسلمين كما أنه من الوهم الظن أن الإسلام يسعى إلى أسلمة النصارى فالمسيح مسلم ومحمد وارث المسيح.

دعني أكررها مرة ثانية

أنّ المسيح عليه السلام مسلم أي (استجاب لله) أو مستجيب لله، وأنّ محمداً عليه السلام ورث المسيح عليه السلام.

إن من يقارن بين أقوال المسيح وأفعاله عليه السلام في كتب الله التي جاء بها محمد عليه السلام والمدونة في المصحف الشريف، يستنتج صدق المسيح ومدى تزييف الدين في عقول البشر، ولكننا أمام كارثة مزدوجة حيث أن الناس لا يدركون ماهي هذه الكتب المدوّنة في المصحف الشريف

من حهة، ومن جهة أخرى لا يفقهون أقوال المسيح عليه السلام.

انظر إلى ما تركه الرسول محمد عليه السلام (المصحف الشريف)، وقارنه بما قاله المسيح عليه السلام والمدون في الكتاب المقدس تجد صدق ما أقول والدليل عليه. فإن استطعت أن تدرك من هو المسيح عليه السلام أستطع أنا أن أقول لك من هو محمد عليه السلام. إن المصحف لفظ مركب ذو معنى تتداخل فيه علوم خمسة أما أقوال المسيح فهي الفهم السليم لهذا المصحف. وإن الفهم الذي يملكه المسلمون والنصارى للدين فهم خاطئ ومنافٍ لما يحملونه فهم يناقضون أنفسهم بأنفسهم ولا يشعرون.

المغضوب عليهم

لما كان الحذر من غضب الله على الإنسان ضرورة من ضرورات الحياة وأمراً هائلاً وعظيماً، فإن إنعام الله على عبده بهدايته لما يرضيه ولما يغضبه إنما هو فضل غامر وإنعام كريم يعجز اللسان عن التعبير عنه، ولعل أبيات رابعة العدوية تنقل شيئاً من هذا الحس وهي تقول:

فليتك تحلو والحياة مريرةٌ
وليتك ترضى والأنام غضابُ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ
وبيني وبين العالمين خرابُ
إذا صحّ منك الودّ فالكل هيّنٌ
وكلّ الذي فوق التراب ترابُ

لقد غضب الله على بني إسرائيل وضُربت عليهم المسكنة:

"ذلك بأنهم كانوا

1 - ﴿يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.
2 - ﴿وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.
3 - ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوا﴾.

4 - ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

5 - ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [آل عمران: 112-115].

ثم يبين أسباب غضبه ويحددها ليجتنبها الإنسان

ولكن الامام ألصق في أذهان الناس أن المغضوب عليهم صفة ملازمة لبني إسرائيل، وأن الضالين صفة ملازمة لأتباع المسيح، وأن الله قد اصطفى أتباع محمد لمجرد أنهم قالوا أسلمنا لفظاً من فئة المغضوب عليهم، والله يكذّب ادعاء الامام ويقول بأن المغضوب عليهم هم من يتحلون بأية صفة من الصفات الخمس:

1 - القتل

﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: 93].

2 - الشرك والنفاق

﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الفتح 6].

3 - الطغيان

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾﴾ [طه: 81].

4 - أن تتولى قوماً غضب الله عليهم

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المجادلة: 14].

5 - الافتراء أو اتخاذ الطاغوت ولياً

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: 152].

المكذّبون

هناك فرق بين الكاذب والمكذّب، وهناك فرق آخر بين كاذب وبين كذاب كالفرق بين ناجر ونجّار فالنجّار هو الذي أتقن الصنعة وأما الناجر فهو الذي لم يتقن الصنعة بعد، كذلك من كفر فهو كافر ومن أصبح كفّاراً على وزن حدّاد أو خيّاط يعني أنه أتقن الصنعة.

وفق هذا المقياس من هو المكذّب؟

هو الذي يفتري على الله الكذب ويريد أن يلبس الحق بالباطل ليدحض به الحق ويؤمن بالباطل ويكفر بنعمة الله، والحق هو الشيء الثابت الذي لا يتغير ولا يأتي واقع آخر لينقضه وتؤمن به وتستطيع أن تأتي عليه بدليل.

إذا عدت إلى المصحف الشريف تجد الله سبحانه يقول: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: 105].

والمفتري على الله الكذب هو الكافر أو الظالم بدليل:

﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ

فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: 93-95].

لقد عرّفت في كتابي السابق معنى آية، وهنا أشدد على المعنى ثانية لأن تعريف هذه الكلمة هو المفتاح للوصول إلى تعريف المكذب.

إن كلمة آية معناها علامة وهي أثر مادي قابل للملاحظة والمعاينة، فإذا كنا نحقق في جريمة قتل ثم جئنا بآية (علامة) أن الرجل المتهم قد تُوفّي قبل عشر سنين من تاريخ وقوع الجريمة فهذه آية أو علامة على براءة المتهم من الجريمة التي وقعت اليوم، فكيف يكون المتهم قاتلاً في جريمة حصلت اليوم والمتهم ميّت منذ عشر سنين؟ هذه آية أو علامة أو دليل، فالمكذّب هو المفتري الذي يكذب بالآية التي يستطيع من لديه العلم أن يأتي عليها بالدليل.

والآية هي العلامة التي يهتدي بها المؤمن في طريقه، وكلما جاءته آية أخرى زادته إيماناً وأما الذي كفر فيقول ماذا أراد الله بهذا مثلاً؟

لذلك يقول الله: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنعام: 11].

ليأخذ الإنسان العبرة من أخطاء الآخرين ولذلك قال سبحانه: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [الروم: 42].

المعتدون

يعرّف المولى سبحانه المعتدي بأنه الذي اشترى بآيات الله ثمناً قليلاً ثم صدّ عن سبيل الله، ولا يراعي قرابة ولا عهداً ويتعدى على حدود الله فهي حالة تجاوز فيها الظالم الكفر، وأضاف إليها أنه لا يراعي القرابة أو العهد ويمارس الكذب بدليل: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)﴾ [التوبة: 8-10].

المقصود بالاعتداء هو الاعتداء على حدود الله لا شيئاً آخر، فالمعتدي على حدود الله هو الظالم والظالم هو الكافر، انظر إلى الآية التالية: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (٢٤) مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ (٢٥)﴾ [ق: 24-25].

لقد طبع الله على قلبه جزاء للتعدي وما يظلم ربك أحداً ولكن الناس أنفسهم يظلمون ونتيجة الطبع على القلب أنه لا يسمع ولا يرى، والنفس البشرية أمامها مفترقان الأول أن لا تظلم وهذا طريق التقوى والثاني طريق الشيطان وهو الظلم،

وإذا ظلمت فأمامها مفترقان اثنان أيضاً، والأولى أن تتوب وتفيء إلى أمر الله ثم تعاقب ذاتها بذاتها أو أن تسرح متمتعة بثمر إثم ظلمها وهذا هو معنى (اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً) والعقاب هو شفاء للنفس البشرية لتدرك وبال أمرها، ولذلك عندما يعاقب الله النفس إنما يعاقبها لشفائها إنه هو العليم الخبير، ربنا إنه لا علم لنا إلا ما علمتنا، وأما الشقاء فهو التمتع بثمر إثم الظلم وأسعد الناس هو من يعلم أن الله كريم فيسعى إلى الكرم ويدرك أن الله عدل فلا يقرب الظلم، وإن ظلم تاب وكفر عن ظلمه وعفا ورحم لأن الله بالناس رؤوف رحيم، ويدرك أن لا علم له إلا ما تعلم من الواسع العليم فإذا نظرت إلى رسل الله تراهم أدركوا هذا وعلموا سنة الله التي لا تبديل فيها ولا تحويل. فمحمد عليه السلام عندما دخل مكّة قال اذهبوا فأنتم الطلقاء ويوسف قال لإخوته الذين ألقوه في الجب. ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: 92].

والمسيح عليه السلام قال أحبوا أعداءكم أحسنوا إلى من أساء إليكم.

فرسل الله أدركوا سنة الله سبحانه

قال المسيح عليه السلام:

(لا يقدر العالم أن يبغضكم ولكنه يبغضني أنا لأني أشهد عليه أن أعماله شريرة) يوحّنا، الاصحاح السابع (7).

فالله سبحانه لم ينزل ديناً لليهود وديناً لأتباع المسيح وقد رفضه اليهود لأنه شهد عليهم أن أعمالهم شريرة.

لماذا شهد عليهم أن أعمالهم شريرة؟

لأن المسيح عليه السلام أدرك أن كشف الضلال أو الظلم واجب ليتألم المذنب ويتوب فيبرأ، فإن أحسست أني أشير بإصبعي بالضلال إلى فئة محددة فأنا أعلم أن هذا واجبي وما قصدي إلا أن تتوب فتبرأ، إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

التغيير

أمام الضلال القائم، والبحث الدائم، والضغط الواقع، والهجوم القادم ترى العالم في جدال التغيير بعد أن عجز عن إحياء علوم الدين وقال إن الإسلام في الأسر.

يظن بعض الناس أن غياب الديموقراطية هو الداء، وجلبها هو الدواء، و يظن غيرهم أن تخاذل الإنسان أمام قوى البنك الدولي وغياب طاغوت قوي هو السبب، ويظن بعضهم الآخر أن اسرائيل والاستعمار هما الداء والقضاء عليهما هو الدواء وظن الذين من قبلهم أن الأتراك (العثمانيين) هم الداء وظن الذين من قبلهم أن المماليك هم الداء والذين من قبلهم ظنوا أن سلاطين العرب هم الداء، وعلماء الطاغوت بشطريهم الجالس في حضن الطاغوت والذي يريد قتله وأصحاب أنصاف الحلول والذين يبوّقون للديموقراطية وحقوق الإنسان، كل هذه الشرذمة ودعاة الطائفية والقومية جميعهم ومن سبقهم منذ أكثر من أربعة عشر قرنا وبعد أن تركهم الرسول الكريم، في دوامة من الضلال ماهم بخارجين منها وقد زيّن لهم الشيطان مكرهم فصدّوا عن السبيل فهم صم بكم عمي في ظلام دامس إلى أن يشاء الله رب العالمين.

عندما يدخل رجل المستشفى للعلاج يسأله الطبيب بادىء ذي بدء:

ما الذي جاء بك إلى هنا؟

كيف حالك؟ أي ماذا تشكو؟

لا يقول لك الطبيب ما يدور في خلده فهو يدرك أن أمامه عدوين اثنين، هما الزمن والجهد، أي إذا استطاع المرض أن ينال الوقت الذي هو بحاجة إليه انتهى أمر المريض وفشل الطبيب. الأمر الثاني هو أن يبحث عن طريق لتجاوز فحوصات لا حاجة إليها، فالمريض إن لم يشكُ كسراً في العظام من جراء حادث طارىء فلا ضرورة لتصوير عظامه وهو يشكو ألماً في صدره وأعراضاً لها علاقة بالقلب، عند ذلك على الطبيب أن يفكر في حصر المشكلة بفحوصات للتأكد من المرض ليقرر أولاً ما هو أهم شيء عليه أن يفعله في ضوء المعلومات الموجودة لديه، وما هي مسؤوليته التي سيحاسب عليها وهو يصارع الوقت، وربما اضطر الطبيب إلى تحويل المريض إلى أخصائي إن شعر بأن الموضوع تجاوز مدى اختصاصه وعلمه، وهو يقوم بذلك لأنه يحاسب أما الذين يقولون إن الديموقراطية هي السبب والاستعمار هو السبب والتخاذل هو السبب... الخ. كل هؤلاء لايحاسبون وكلهم أطباء.

أين الداء؟

وما هو الداء؟

وما هو الدواء؟

وكيف يكون الشفاء؟

إن النجار الذي لا يعلم ماذا يصنع يختلف عن الإنسان الذي لا يعلم النجارة ولا يعلم ماذا يصنع، الأول ينقصه شيء واحد، ماذا يصنع.

أما الثاني فيعوزه شيئان اثنان ماذا يصنع + تعلم مهنة النجارة.

1 - أين الداء؟ الجواب في أنفسكم الدليل، اسمع قوله سبحانه:

﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١﴾ [الذاريات: 21].

﴿قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: 165].

﴿وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ﴾ [إبراهيم: 22].

﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: 105].

لوموا أنفسكم، في أنفسكم، من عند أنفسكم، لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، كل هذه الآيات يرتلها القراء ثم يقولون إسرائيل، أميركا، استعمار، ديموقراطية. لا يعرف الإنسان كيف يميز بين الذي يجري وراءه ليرضيه والذي يجري وراءه ليدله على من يشفيه. الله هو الشافي، إذا مرضت فهو يشفين وهو الذي يطعمني ويسقين وهو الذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين لا طواغيت الأرض ولا الديموقراطيه ولا المماليك ولا سلاطين العرب.

إذاً، الداء في أنفسنا.

2 - ما هو المرض؟

النفاق النفاق النفاق.

ماهي أعراضه؟

تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى، يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم: بالروح بالدم نفديك ياطاغوت.

طبع الله على قلوبهم فهم لا يسمعون، يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم إنهم لا يفقهون.

3 - ما هو الدواء؟

أن تطرد المنافق من دارك ولو كان من أهلك، انظر إلى نوح عليه السلام حين قال للمولى سبحانه إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق، فقال له ربه إنه ليس من أهلك فلا تسألني ما ليس لك به علم، والمنافق هو الذي جئنا بصفاته العشر في فصل المنافق أو النفاق.

4 - كيف يكون الشفاء؟

بأن تجتنب الطاغوت ثم لا تعمل عنده ولا تقاتله ثم اصدع عن أهلك من المنافقين الذين تجدهم يعملون عند الطاغوت أو تجد عندهم إحدى صفات المنافق، ثم لا تطعهم.

دع أذاهم وتوكل على الله وجاهدهم جهاداً كبيراً وأغلظ عليهم ثم توكل على الشافي.

إن في هذه الدوّامة كثيراً من الناس يبذلون حياتهم وأنفسهم وأموالهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعاً وكل ما

يبذلونه يذهب هباء منثوراً، وهم الأخسرون أعمالاً فقد ضل سعيهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً إن أعينهم في غطاء عن ذكر الله ولا يستطيعون سمعاً في آذانهم وقر لأنهم يصدقون أن السيف أصدق إنباءً من كتب الله. لقد علّمهم إبليس أن السيف أصدق إنباءً من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب، إنهم يعيشون في تناقضات ومفارقات لا يفقهونها. انظر كيف يطربون لأم كلثوم وهي تغني: «لا تشغل البال بماضي الزمانْ ولا بآتي العيش قبل الأوانْ واغنم من الحاضر لذّاتهِ فليس في طبع الليالي الأمانْ». ثم ترى المنافقين يطربون للقارئ عبد الباسط وهو يرتل "والآخرة خير وأبقى"

هو لا يدرك لأن صفة النفاق الأولى أنه لا يفقه.

إن المعوقات التي تقف أمام الناس أن الشيطان زين لهم أعمالهم فصدهم عن السبيل، والله سبحانه هو الذي أضل الإنسان وإضلال الإنسان إضلال سببي أي يخضع لسنّة إلَهية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ ۝٣﴾ [الزمر: 3].

والله يُضلّ الإنسان عندما يفسق بدليل: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٢٦﴾ [البقرة: 26].

والفاسق هو الذي ينقض عهد الله من بعد ميثاقه ويقطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسد في الأرض، والذي أمر الله به أن يوصل هو أن لا تمزق دين الله لتجعل منه أدياناً ثلاثة

(مسيحي، إسلامي، يهودي) فدين الله واحد والذين يريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويريدون أن يتخذوا دون ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقاً.

إن ذهاب الإنسان إلى مكة ليقول لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ثم يعود ليقول لبيك يا طاغوت الأرض لبيك بالدم نفديك بالروح نفديك، إن هذا النفاق الواضح للعيان هو مرض هذه الأمة، والمرض الثاني أن المخلصين لا يصدعون عن هؤلاء وهم يقرأون في كتاب الله ملك الناس إلّه الناس ويسمّون أنفسهم مسلمين. ولقد أصاب الشعراوي رحمه الله عندما قال نحن لسنا مسلمين. فهؤلاء لا يرون أنهم سبب المشكلة، بل يرونها بعيدة عنهم والله يقول في أنفسكم أفلا تبصرون.

إن على الإنسان إدراك عملية زوال الباطل من تلقاء نفسه لحظة تيقظ الضمير والله ينتظر هذا الوعي عند الإنسان لاكتشافه قبل فوات الأوان ولكن ظاهرة النفاق الراهنة هي التي تحجب رؤية الحق، وتمسك الإنسان بالكذب هو دولاب العربة في الزمن يأخذه إلى الجهة الأخرى في ظلمات فوقها ظلمات ليس بخارج منها، لأنه زيّن له عمله فرآه حسناً ومن يضلل الله فما له من هاد، وإن النفاق والكذب الموجودين عند معظم المسلمين لا يحتاج إلى جهد كبير لرؤيته ويكفي أن تنظر في صفات المنافق العشر التي دونتها من المصحف الشريف لتجد صدق ما أقول لك، أو انظر في صفات

الكافرين التي دونتها للقارئ. والسؤال الآن بعد أن أدركت المشكلة ما هو موقفي أنا كمسلم (مستجيب وملتزم)؟

هل أسمع القول فأتبع أحسنه لأكون من الذين هداهم الله أم أسمع ولا أطبق وأَعشو عن ذكر الرحمن ليُقيّض لي شيطاناً فهو لي قرين؟

هذا هو جوهر الموضوع.

أنا شخصياً لدي جوابي ولا أدري ما هو جوابك أنت يا أخي ويا أختي الكريمة فإن كان جوابك كما أمر الله بالسمع والطاعة فأنت أخي وأبي وأمي وأختي وإلا فلا تقربني، وإياك أن تظن أن القومية أو الطائفية أو الحزبية تجمعنا. إني كفرت بدينكم وقلت ربي الله وإذا كنت أنت لا تريد أن تتخذ موقفاً فقد اتخذت أنا موقفي وكذلك اتخذ كل المخلصين في الأرض موقفهم، وهذان القطاران يفترقان يوماً بعد يوم ودقيقة بعد دقيقة وإن موعدهم الساعة والساعة أدهى وأمر وسوف تأتي والناس في غفلة عنها إن الله لا يخلف الميعاد.

المفتري

إن الخوض في تدبّر معاني كلمات الحق في كتبه بنور الله الذي يكشف الحق وينير الطريق هو أمر لابد منه في زمن دُسّ فيه السم في الكأس ونُوّمت المشاعر المتوفزة وخُدّرت الحماسة المتحفزة فلابد لنا من العودة إلى الضوء الكاشف.

يقول المولى سبحانه:

1 - الظلم هو الافتراء

﴿فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [آل عمران: 94].

2 - الشرك هو الافتراء

﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48].

3 - الكفر هو الافتراء

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة: 103].

4 - عدم الايمان هو الافتراء

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: 105].

5 - التكذيب بالحق هو الافتراء

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [العنكبوت: 68].

6 - الكذب على الله هو الافتراء

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾ [الأنعام: 93].

7 - إضلال الناس بدون علم هو الافتراء

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأنعام: 144].

8 - تكذيب آيات الله هو الافتراء

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنعام: 21].

9 - العودة في ملّة المشركين

والكافرين وعدم الصدع عنهم هو الافتراء

قال شعيب عليه السلام

﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ﴾ [الأعراف: 89].

بعد أن علمنا من هو المفتري وما هو الافتراء علينا أن ننظر ونبحث عن ثمار الافتراء (من ثمارهم تعرفونهم)

1 - غضب الله
2 - ذلة في الحياة الدنيا
3 - الخيبة
4 - عدم الفلاح

بدليل قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ [الأعراف: 152].

﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [يونس: 69].

قال سبحانه عن موسى عليه السلام: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه: 61].

بعد أن تدبّرنا كلمات الحق سبحانه وبضوئه الكاشف من هو المفتري وما هي ثمرة الافتراء لابد لنا من أن نتدبر بوعي أحداث التاريخ وأن نطالع بإمعان أحداث الحاضر ونسمع خطباء الجمعة يفترون على الله الكذب ويزعمون أنه إن اجتهدت وأصبت فلك أجران اثنان وإن أخطأت وضل الناس فلك أجر واحد، والله يقول صراحة وبوضوح الشمس في وسط النهار وفي وسط سماء صافية لاغيوم فيها: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [الأنعام: 144].

إن ما يقولونه ليس من عند الله وإنما يزاول علماء الطاغوت جاهليتهم التي نراها اليوم أنها كذب وافتراء على

الله وهي من وحي شياطينهم والله بريء منهم كما ترون في الآية السالفة الذكر.

لابد لنا من قول الحق ومواجهتهم باستنكار الكذب الذي تصفه ألسنتهم بأنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون.

يفترون على الله الكذب ويقولون هذه أركان الإسلام ولا علم لهم بكتب الله أو دينه ويجلسون في أحضان طواغيت الأرض تارة ويريدون قتل الطواغيت تارة أخرى متذبذبين بين هذا وذلك.

إنه ولو تعمق الشر واستشرى فإن الحق أبقى وأقوى نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولهم الويل مما يصفون.

مفهوم الدولة ومفهوم مملكة الله

يعتبر أرسطو، مُلهِم مفهوم الدولة للعصر الحديث، أن العائلة هي النواة التي أنجبت الدولة لحاجة البقاء والأمن، وإن ارتباط العائلات بعضها ببعض وتوحدها أنجبا القربى، والقربى أوجدت القرى، والقرى أنجبت الدولة التي تحولت إلى سلطة، وهذه السلطة أنجبت السياسة التي تحدد مصالحها وأهدافها.

إن النيات الحسنة لتفسير نشوء الدولة تاريخياً تعتبر أن السياسة هي علم السعادة الاجتماعية، وأن وظيفة الدولة هي تحقيق أكبر قدر ممكن من السعادة لمواطنيها، ولكن الواقع يقول عكس هذا الادعاء والتاريخ خير شاهد ودليل على تكذيب هذا الرأي.

ويتم خداع الإنسان بواسطة:

سعي علماء الاجتماع والفلسفة إلى التأكيد على أن الإنسان متطور بطبيعته، وتطوره في طريقه إلى الكمال الذي لا يمكن أن يتحقق بمعزل عن مجتمع المدينة والدولة، وأن من يستطيع العيش خارج المدينة هو إما إلّه أو حيوان... ولقد اعتبر علماء الاجتماع أن غاية الوجود هي بناء الدولة

في هذا الاجتماع الذي سموه حضارة، وهذه الدولة تنقسم بطبيعتها إلى قطبين اثنين حاكم ومحكوم.

وهذا باعتبارهم هو غاية تطور الإنسان لأن الدولة تحقق الأفضل. . .؟

لو بحثنا في نشوء الحاكم والمحكوم لوجدنا أنهما يخرجان من رحم الارهاب حيث أن مسألة الحاكم والمحكوم مصدرها أوامر تفرض بالقوة (الارهاب)ثم تصبح مع توالي الأيام تعاقداً وتراضياً بين الحاكمين والمحكومين تحت شعار نحن الشعب، وهنا مفترق الطريق بين:

أ - أنظمة الطغيان القائمة في الأرض الآن مروراً بالأنظمة السابقة تبدأ من بذرة الارهاب أي فرض نظرية الحاكم والمحكوم بالقوة مسمّية إياها تعاقداً وتراضياً تحت شعارات الانتخاب وأن الشعب انتخب وقرر مصيره.

ب - أنظمة صراط الذين أنعم الله عليهم المفقودة الآن في الأرض والتي تقوم على مبدأ:

لا إكراه في الدين (السياسة) قد تبيّن الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

الرشد: أن تكفر بالطاغوت وتؤمن بالله (أي يزول الود من قلبك إزاء أفراد عائلتك إذا عملوا عند الطاغوت الذي لا يأتي إلى الحكم إلا بالارهاب مختبئاً وراء عباءة الانتخابات والديموقراطية).

الغي: هو فرض نظرية الحاكم والمحكوم بالقوة (الارهاب)، وهذا هو الطريق الذي جاءت عبره كل طواغيت الأرض الموجودة الآن تحت أسماء مزخرفة ومزركشة لذلك قلنا ضل عن الناس منشأها.

انظر إلى المسيح عليه السلام الذي جاء ليبني مملكة الله على الأرض إذ بدأ ببناء النواة، ثم أرسل تلاميذه ليعلّموا ما تعلّموه منه، ولكن لما جاء الامتحان تركه أتباعه وخانوه وتخلوا عنه وهربوا، فقال إن مملكتي ليست من هذا العالم لأن أتباعي لا يدافعون عني. أما محمد عليه السلام فأقام مملكة الله لأن أتباعه استقبلوه بـ«طلع البدر علينا» «وجب الشكر علينا ما دعا لله داع». ولكن سرعان ما تقوضت المملكة فانقسموا سنة وشيعة ولم يستطع كلاهما (السنة والشيعة) أن يجد طريق الهداية مذهب ابن آدم الذي قال: «لئن بسطت يدك إلي لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين».

وهكذا يبيّن لنا المولى سبحانه أن في الأرض نظامين اثنين لا ثالث لهما إما أن تسجد لله طوعاً (وهو صراط الذين أنعم الله عليهم)، أو أن تسجد لله كرهاً وهو «اهبطوا بعضكم لبعض عدو» (حاكم ومحكوم)، كما هو وضع الأرض اليوم يقتل بعضهم بعضاً ويتسابقون لامتلاك الأسلحة النووية ويحرمها بعضهم على بعضهم الآخر تحت ذريعة أنا حكيم لن أستعملها أما الآخر فإنه ارهابي وسوف يستعملها؛

في حين أن تعريف الارهاب في قواميس اللغة ينطبق عليه هو؛ عندما سُئل أحد الحكماء ما هو أصعب شيء في الحياة قال أنْ تعرّف نفسك.

السّلطة

قلنا إن علماء الاجتماع قسموا الطبيعة الاجتماعية إلى قطبين اثنين، حاكم ومحكوم، ومن هنا ينبع مفهوم السلطة التي تمتع بها الحاكم لإدارة محكوميته، ويعتبر علماء الاجتماع أن أصحاب المواهب والقدرات يتجهون ليصبحوا حكاماً، والآخرين ليصبحوا محكومين لافتقارهم إلى صفة القدرة.

لقد نبع مفهوم التقسيم الاجتماعي والحضاري من هنا ونشأت النظرة الدونية إلى الآخر سواء كان فرداً أو قوماً أو طبقة. لقد أسّس أرسطو هذا المفهوم وقال إن هناك الغرب المتمثل بالإغريق والذين لهم بطبيعتهم صفة الأفراد الشجعان الأسياد الذين لا يجوز استعبادهم، والشرق الذي له بطبيعته الخاصة صفة العبودية[14].

إن أرسطو قد أسس في ما بعد الفكر الغربي الاجتماعي السياسي، ولقد زرع مفهوم الثنائية، فالمجتمع ينقسم إلى:

---

(14) الحكم المدني، جون لوك، ترجمة ماجد فخري، بيروت، 1959، اللجنة الدولية لترجمة الروائع.

حاكم	محكوم
سيد	عبد
ملك	رعية
رجل	امرأة

ولذلك يهزأ أرسطو من النظام الديموقراطي الذي يعبر عنه بأنه كالبيت الذي لا سيد له، أو كربّ الأسرة الضعيف غير القادر على إدارة شؤون بيته.

إن أرسطو قد فرّق بين الدولة والحكومة ويعتبر الأولى جماعة من المواطنين الذين يعيشون على أرض واحدة، لكن يعتبر المكان غير كافٍ لتحديد المواطنة، ويعتبر الحق في المشاركة في الأمور التشريعية والتنفيذية الخيط المحدد للمواطنة. ومن هنا نستنتج أن أرسطو قد موه الصورة باللون الرمادي فاستحال على الفرد رؤية العبودية بوضوح تحت اسم صفة المواطنة. أما الثانية (الحكومة) فيعرفها أرسطو بأنها الجماعة التي تنظّم أمور الدولة وتشرف على أعمالها ويقسمهم إلى صالح وفاسد بميزان متطور غير ثابت، ويدرج أرسطو الأنظمة تحت أشكال مختلفة:

1- النظام الارستقراطي الصالح والذي تكون السلطة فيه بيد فئة لها امتيازات، والسلطة هنا اقتسمتها فئة بعد أن كانت بيد فرد أما القسم الفاسد من النظام الارستقراطي فيطلق عليه أرسطو اسم أوليغارشي.

2- النظام الدستوري الذي يعتبره النظام الصالح تكون

فيه السلطة بأيدي الغالبية فقط أما القسم الفاسد من النظام الدستوري فهو ديماغوجي.

3- النظام الملكي الذي تكون فيه السلطة بيد فرد حاكم يراعي المصلحة العامة والقانون، والقسم الفاسد من النظام الملكي يسمى الاستبدادي.

لم أبتغ شرح نظرية أرسطو بمقدار ما ابتغيت أن أبين الأسس الفكرية والمنهجية التي بُني عليها النظام في الغرب لاحقاً، والذي يعتبر نظرية أرسطو في الدولة والمجتمع أساساً، وكل فكر أتى لاحقاً هو فكر تعديلي وليس فكراً ثورياً.

إن التبريرات للحكام والطاغية والمستبد والدكتاتوري تأتي من حتمية الثنائية الاجتماعية التي عبر عنها أرسطو وقسّم المجتمع بموجبها إلى حاكم ومحكوم.

إن الصراع الاجتماعي ينشأ من هذه القطبية، فالمحكوم يقوم بثورات ضد الحاكم والحكم، وهكذا تجري أنهار من الدماء لتغذي فكر الإنسان وعقله.

لنفترض جدلاً أننا نوافق أرسطو على قطبيته، ولكن كيف نستطيع الوقوف صامتين أمام نظرية أن الملك فرد يراعي المصلحة العامة للأفراد، فهل يمكن للسيد أرسطو أن يذكر لي ملكاً عادلاً ساس رعيته بالعدل؟ وهل يمكن للسيد أرسطو أن يوحي لي كيف أن السياسة هي علم السعادة الاجتماعية، وأن وظيفة الدولة هي تحقيق أكبر قدر من السعادة لمواطنيها؟

السؤال الكبير هو، هل هذه الثنائية حتمية؟ هل يقتضي في التجمع الاجتماعي الحضاري أن يكون هناك حاكم ومحكوم؟ يتبين في هذا الكتاب مما سبق ومما هو لاحق أن المجتمع كما يعرّفه الله لا ينقسم إلى حاكم ومحكوم، فالجميع محكومون في إطار واحد حدده الله، وليس هناك حاكم له سلطة تشريعية أو تنفيذية أو أي امتياز يحققه على حساب الأفراد. والجميع في مملكة الله ودولته للبناء ولا للحكم، لأن الحكم لله وحده سبحانه وتعالى وسيظل الإنسان تحت واقع (حياتهم ضنكى) إلى أن يكتشف أولاً وهم ثنائية المجتمع، وأن يعمل على إزالة هذه الثنائية التي تميز بين الإنسان ونظيره الإنسان ليعود تحت مظلة الله التي تُظل الناس جميعاً:

بعضكم لبعض عدو ← هو السجود لله كرهاً

عبادي ليس لك عليهم سلطان ← هو السجود لله طوعاً

هذا هو نظام الله الاجتماعي.

ولقد أفسد رجال الدين في الأرض إلى درجة لم يعد الناس بعدها يثقون بهم أو يأتمنونهم على الحكم. واليوم ترى الناس أيضاً لا يثقون برجال السياسة ولكن لا يدركون من هو البديل وكيف يكون لأن البديل ليس شخصاً أو فئة من الناس بل هو إدراك الحق. (الحق يحرركم) إدراك الحق أو إدراك دين الله يكون فيه التحرر من أغلال ضلالات رجال الدين ورجال السياسة؛ فالبحث عن النظام هو السبيل

وليس البحث عن رجل أو امرأة أو طفل. إن البحث هو عن نظام الله وإدراكه لأن ما هو مع رجال الدين (أي ما في عقولهم) هو الضلال، والحق هو المدون بعد أن نمحو من الذاكرة الخرافات التي زرعوها في عقول البشر خلال ألفي عام.

وإن مفهوم مملكة الله هو غير مفهوم أرسطو للدولة أو المفهوم الحديث للدولة. ففي مملكة الله كل مؤسسة تعمل على حدة وكل واحدة هي تعاقد بين الشعب والمؤسسة، ومملكة الله هي القاضي (الأعمى) أي الذي لا علاقة له بكليهما إنما هو قاضٍ عادل لا ينحاز إلى أي منهما، ومملكة الله لا جيش لها بل كل فرد جندي في هذه المملكة وكل المؤسسات ورئيسها ليس لديهما السلطة لإرسال هذا الجيش إلى أي حرب، إنما الجالس على عرش مملكة الله (الخليفة) المنتخب والمقيد بقيود الانابة هو الذي يقرر الحرب والسلم، وكذلك هيئة قضاة مملكة الله الذين يستطيعون أن يأتوا بالدليل من كلام الله باكتمال شروط القتال المدونة في المصحف الشريف، فهو ليس رأياً أو ظناً أو تخميناً أو اجتهاداً أو وحياً من أحد بل هو دليل وبرهان وحجة من كلام الله المدون فقط.

أما الجيش فهو لتدريب الناس على فن القتال فقط ورئيس المؤسسات ليس لديه صلاحية سجن الناس أو قتلهم أو تعذيبهم في مملكة الله، وولاء الإنسان ليس للدولة ولا

للعلم ولا لأية خرافة أخرى بل هي للذي خلق الإنسان، وهو العقد بين الذي خلق الإنسان والإنسان، ألا تتخذوا من دوني وكيلاً.

والإدارة التي تدير هذه المؤسسات بينها وبين الإنسان عقد مدون، ويستطيع الإنسان أن يأخذ هذه الادارة إلى محكمة مملكة الله إن أخلّت بالعقد المكتوب بينهما.

فليس في مملكة الله حاكم ومحكوم، فالذي يدير مملكة الله عبد مأمور لم يأت ليُخدَم بل جاء ليَخدِم منتخباً من قبل الأكثرية، يدرك دين الله ويعلم ما معنى الانابة ومقيد بأغلالها وملتزم بها ولا يستطيع الافلات منها، وكل فرد في هذه المملكة يدرك أغلالها ويراها بأُم عينه في يدي الذي يديرها ولا يستطيع الافلات منها، والجهاد هو قول الحق أمام الملأ إن مال عنه، هذه المملكة مقسومة قسمين اثنين الجزء الأول هو ما سماه الله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: 36].

والجزء الثاني وهو الإدارة والشعب وسماهما المولى سبحانه: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: 38].

وليس لمملكة الله أي تدخل فيه بل هو عقد بين (الإدارة ومؤسساتها) و(الشعب)، فإذا أخلّ أحدهما بهذا العقد المتفق عليه بينهما والمدون في حينه يلجأ إلى القضاء المستقل المقسوم بدوره إلى قسمين اثنين محلي والقضاء الأعلى في

مملكة الله وكما بينا فإن الإنسان والإدارة رهن عقدين، بمعنى آخر فمملكة الله هي التي تقلّم أظفار الحكومة.

فالادارة ليست حاكمة والإنسان (المستجيب) ليس بمحكوم، بل هو عقد بين اثنين حتى يكون العدل في الأرض كل الأرض تماماً كما لو ذهبت إلى السوق لتشتري خبزاً فالبائع ليس حاكماً وأنت لست بمحكوم، إنما تتقيد أولاً بالنظام وتقف حسب دورك وحين يأتي دورك، ولديك النقود ثمن الخبز تستقبل بابتسامة وتخدم بكل سرور لأنك تدفع ثمن الخدمة من عرق جبينك، وكذلك الحكومة في مملكة الله.

كثير من الناس لا يدركون ما نقول عندما نتكلم على العدل لأنهم لا يدركون دين الله، ولا يدركون إلا ما رأته أعينهم تحت وطأة ظلم طواغيت الأرض، فعندما تبيع زجاجة الماء للناس فهذا ظلم وبغي واعتداء لأنه ليس لأحد حق في بيع الماء، بل هو لكل إنسان وحيوان ونبات في الأرض، وللناس أيضاً الحق أن لا يلوث أحد الماء لأنه ليس منحة أو تكرماً من أحد وليس للحكومة أو لشركة الماء حق في بيعه أو امتلاكه، لذلك يقول الله سبحانه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر: 28].

وشركة الماء التي مدت الأنابيب وترعى الماء لها الحق أن تأخذ أجورها، ولكن الشعب له الحق أيضاً في تغيير هذه المؤسسة إن لم يكن راضياً عن الخدمات أو تكاليفها.

إن تطبيق هذا في الأرض كل الأرض هو العدل وليس ما يدعيه أولئك الذين يبوّقون للديموقراطية والطغيان.

المسـرف

من هو المسرف؟

إذا أردنا تعريف المسرف، علينا أن ننظر إلى مآله لنعرفه، إن الله تعالى قد أخبر عن المسرف منذ اللحظة التي هبط فيها الإنسان إلى الأرض إذ يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ [طه: 123-127].

في التحليل نجد أن المسرف هو الذي يدمر نفسه للأسباب التالية:

1- لا يتبع الهدى الذي أتى من الله.

2- يُعرض عن ذكر الله.

3- ينسى آيات الله.

4- لم يؤمن بآيات ربه.

ونتيجة لكل ما سلف يضع الله العقوبات التالية:

1- معيشة ضنك.

2- الحشر يوم القيامة أعمى.

3- عذاب شديد في الآخرة.

إن عذاب المسرف دنيوي وفي الآخرة عذاب أشد وأبقى:

1- اتبع هدى الله ---> لا يضلّ ولا يشقى.

2- أعرض عن ذكر الله ---> معيشة ضنك.

وهنا سؤال مهم للغاية:

هل معيشة المسلمين ضنك؟... وهل يشقون في الأرض؟... هل ما زال الإنسان عدواً للإنسان؟ إن الإجابة متروكة للقارىء.

والمسرف هو الذي يدمر ذاته بذاته.

لقد جعل الله المسرف (الإسراف) شرطاً للضلال إذ يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾ [غافر: 34].

لقد جعل الله الخروج على حدوده علامة للإسراف إذ قال عن قوم لوط: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: 81].

المنافق

قال الشاعر:

وقد فتّشت عن أصحاب دينٍ
لهم نسك وليس لهم رياءُ
فألفيت البهائم لا عقولٌ
تقيم لها الدليل ولا ضياءُ
وإخوان الفطانة في اختيال
كأنهم لقوم أنبياءُ
فأما هؤلاء فأهل مكرٍ
وأما الأولون، فأغبياءُ

ويحدد المولى سبحانه عدة أمور عن المنافقين فيقول:

1 - ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون: 4].

2 - ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: 1].

3 - ﴿فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: 2].

4 - ﴿ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧﴾ [المنافقون: 7].

5 - ﴿لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [المنافقون: 6].

6 - ﴿ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [المنافقون: 3].

7 - ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ﴾ [الحشر: 13].

8 - ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: 14].

9 - كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني ﴿أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: 16].

10 - ﴿يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ [النساء: 60].

11 - ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ [النساء: 60].

يدعي علماء الطاغوت أن أميركا وإسرائيل والاستعمار هو العدو والله سبحانه يقول إن المنافقين هم العدو، ثم يعطينا سبحانه إحدى عشرة صفة للمنافقين ولقد أوردتها لتبيان حقيقة أنهم يذهبون إلى مكّة ليقولوا لله لبيك اللهم لبيك، وأنتم تسمعونهم يقولون لطواغيت العرب لبيك ياطاغوت العرب لبيك، بالدم نحميك بالروح نفديك.

ولقد بيّن الله لرسوله الكريم والمؤمنين واجبهم تجاه المنافقين فقال اصدع عنهم ولا تطعهم ودع أذاهم وإياك أن تتولاهم وأغلظ عليهم وجاهدهم ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [التوبة: 97].

لو نظرت اليوم ملياً إلى هذه الصفات لوجدتها تنطبق على الذين يسمون أنفسهم مسلمين.

الشقـي

لقد كان من رعاية المولى سبحانه للبشر أن حذرهم من الشقاء، وبيّن أسبابه ولكن ورغم التحذير نرى بأعيننا مختلف أطوار الشقاء التي يعانيها إنسان الأرض.

شقاء بالكد والعمل والشرود والضلال والحيرة والقلق والألم والفقدان، يجوع ويعرى ويظمأ ويضحى ويقتل، وكل ذلك الشقاء ثمرة الضلال التي يجنيها إنسان الأرض، كل الأرض، ولقد كان ولا يزال بإمكانه النجاة من هذا الضلال والشقاء في الأرض، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون.

إن الشقي بتعريف الله هو الذي لم يتبع هدى الله، وتبع الشيطان فأخرجه من نعيم الله إلى جحيم الأرض، والله وعد الإنسان بأنه إذا سار على هداه فلن يضل ولن يشقى.

وحذر الله الإنسان من عدوه الذي إذا اتبعه فإنه سيشقى إذ قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ [طه: 117].

لقد أشار الله للإنسان إلى عدوه بكلمة هذا وجعل نتيجة اتباع العدو الشقاء. ولكن الإنسان نسي كلام الله فشقي ولا يزال يشقى في الأرض، لقد أنزل الله القرآن ليزيل شقاء

الإنسان، وبمعرفة كتب الله يزول الشقاء الأرضي للإنسان ويدخل في نعيم سماوي خالد، إذ قال الله تعالى لرسوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه: 2].

لقد حذر الله الإنسان من عدوه بل وأعدائه ولكنه لم يأمر الإنسان بقتل عدوه لينعم بالحياة، بل أمره كما فعل إبراهيم عليه السلام حين طلب من قومه عدم اتباع الشيطان. وحين قال له أبوه "يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا". فكان جواب إبراهيم: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾﴾ [مريم: 47-48].

إذاً لقد حارب إبراهيم عدو الله بالاعتزال والدعاء فماذا كانت مكافأة الله له؟ يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: 49-50].

إن مكافأة الاعتزال والامتثال لأمر الله باجتناب الطاغوت كانت جعل سلالة إبراهيم من الأنبياء القدوة للبشرية.

قلنا إن العالم في مفهوم الناس اليوم إما حاكم أو محكوم، ظالم أو مظلوم، قوي أو ضعيف.

أما في منهج الله سبحانه فالعالم ذو أقطاب ثلاثة مستكبر ومستضعف وساجد، فالمستكبر والمستضعف كلاهما تائه في الأرض ومصيره الشقاء، أما الساجد فهو المعتزل المهتدي

الملتزم أمر الله ونهيه، فالالتزام والاعتزال درعان تتحطم عليهما كل قوى الشر والطغيان ولا تمس حاملهما بسوء، فالكبرياء الزائفة التي تعتري الطغاة إنما هي وقود يوقظ قلب الملتزم فيتذكر فيخشى لأنه يدرك عاقبة الطغيان والجحود والانكار، ويدرك أن السلام على من اتبع الهدى وأن العذاب على الذي كذب وتولى. فإذا جال الملتزم ببصيرته في جنبات هذا الوجود تجلت له القدرة المدبرة المبدعة في النواة الفاعلة الملتزمة الساجدة تنبض بالحياة التي وهبها الله سبحانه للوجود فهي في أمان من الضلال والشقاء الذي هو ثمرة العصيان وشقوة الدنيا بالكد والعمل والقلق والحيرة والفقدان والألم والجوع والعري، ويعيش في رحاب الهدى على صراط الله المستقيم يعمل لبناء مملكة الله التي تنبذ المستكبر والمستضعف ولا مكان فيها إلا للذي استمسك بشروط السجود الخمسة.

الغاوون

إن الغواية كما جاءت في المصحف هي من الله، والله أغوى الشيطان لذلك قال الشيطان: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ وكذلك قال نوح لقومه: ﴿إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [هود: 34].

إن الغواية هي من الله وهي جزاء جريمة يرتكبها الإنسان، أنظر لما ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [طه: 121].

قال سبحانه: (﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [الأعراف: 175-177].

فعندما ينسلخ الإنسان من آيات ربه تكون الغواية جزاء وعقاباً له بدليل قول الحق سبحانه وسنّته: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟

سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأعراف: 146].

وهكذا فقد بين الحق الغي وطريقه وأسبابه.

أي أن عصيان أي أمر من أوامر الله هو بداية السير في طريق الغي، ويحدد الله معالم أخرى لطريق الغي إذ يقول: "فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً".

إن فقدان الصلة بالله، واتباع الإنسان شهواته من دون الله هما مجرد البداية في طريق الغي، ويتأتى من ثلاث زوايا:

1- زاوية نفس الإنسان ---> اتبعوا الشهوات - أو العصيان

2- زاوية الشيطان ---> عدم الاخلاص لله

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الحجر: 39-40].

إن غواية الشيطان تأتي لكل إنسان ولكل فئة عدا فئة (عباد الله المخلصين) إذ إن الاخلاص حصانتهم العالية والسور الواقي الذي يمنع الشيطان من العبور.

3- زاوية شركاء الله المزعومين ---> أي حين يغوي إنسان إنساناً آخر ليعصي الله ويتبع الشهوات، وهو ما عبر عنه الله تعالى بقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ

أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: 62-63].

إن الإنسان الذي يترك الله ويتبع إنساناً آخر سواء كان طاغية أو غير ذلك فإن ذلك الآخر سينكره يوم نداء الله ويقول (ماكانوا إيانا يعبدون)، ويقول الله إن الغاوي الذي يقوم بالغواية والإنسان الذي يتبع الغواية يلقيان المصير نفسه إذ يقول الله تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَـٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَـٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَـٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الصافات: 27-35].
يصفهم المولى بالمستكبرين والمستضعفين.

قانون «إذا وفقط عندما»

لقد جاهد المسيح عليه السلام ليعلّم البشر نبذ القطرية والقومية والعنصرية والإنتماء إلى الإنسانية الواحدة المتكافلة المتراحمة تحت الربوبية الواحدة التي جاءت بهم إلى هذا العالم وخطت لهم طريق الحياة فيه، وأدرك المسيح عليه السلام أن استقرار هذه الحقيقة كفيل باستبعاد الشقاء البشري.

لذلك تجد المسيح عليه السلام يستهدف غاية واحدة (هدى الناس) فتراه يقول تعالوا إلي أيها المتعبون في الأرض، تعلّموا مني إن حملي هيّن ونيري خفيف، فالمسيح أدرك أن غاية الوجود الإنساني، هي إنشاء مملكة الله على الأرض، ليعيش فيها الإنسان من دون أن يظمأ أو يعرى، أو يجوع أو يضحى بل يسعد فيها ويهنأ، ويرعى البيئة فلا يفسد فيها ويسود العدل ويزول منها العزة بالإثم، والاستغلاق عن الفهم، وينتصر فيها الخير فيبقى ويزول الشر ويتلاشى، هذه المملكة محكومة بقوانين سماها الحق سبحانه "سنت الذين خلوا من قبل" ولبنائها أصول وعلوم مستمدة من (سنن الله) في صراط مستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم غير

المغضوب عليهم ولا الضالين، وهو فهم سليم لسنت الله، وكلاهما يشكل علاجاً للإنسان كفرد (نواة) مما قد يتعرض له في حياته فيحمل معه عقدة وأمراضاً نفسية انتقلت إليه من المجتمع الذي يعيش فيه، كما أنه علاج لأمراض المجتمع ككل ولأي ظاهرة اجتماعية مرضية.

ولقد أدرك ابراهيم عليه السلام ذلك فقال: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: 78-82].

وهذا ما عبر عنه المولى سبحانه بقوله: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التغابن: 16].

هذه الوقاية من هذا الشح هي الفلاح فلاح في الأرض وفلاح في الآخرة ولكن عليك أن تطلب فلاح الآخرة فيضاف لك فلاح الدنيا وإن طلبت فلاح الدنيا خسرتهما معاً. ولقد أدرك المسيح عليه السلام ذلك جيداً فقال: (لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم) متّى، الاصحاح السادس (33).

فالله الذي خلق الإنسان فعال لما يريد، خلق الإنسان على شاكلته فهو فعال لما يريد أيضاً، هذه الارادة هي مفترق الطريق، إما أن تدرك وتبني وتعمر هذه المملكة وإما أن لا تعمر ولا تبني ولا تدرك فيكون فيها الإنسان من عالم البهيمة ولو بدا في شكل الآدميين، فيزل ويهوي ويظمأ في الأرض

ويعرى ويجوع فيها ويضحى تماماً كما تراه اليوم على الأرض، انظر كيف وصف أشعيا بني إسرائيل على لسان الله إذ قال: (ربيت بنين ونشأتهم أما هم فعصوا علي الثور يعرف قانيه والحمار معلف صاحبه أما اسرائيل شعبي لا يفهم) أشعيا، الاصحاح الأول (2 - 3).

لاحظ كلمة عصوا علي ثم يظنون أنهم على دين الله، كيف يعيش السمك بدون الماء؟

إن غياب مفهومي سنت الله والصراط المستقيم والاطاعة من جهة أخرى هو الذي يمنع بناء مملكة الله على الأرض، كالسمكة لا تستطيع العيش بدون الماء، هذه السنن مقترنة دائماً بـ(إذا) الشرطية، وهذه السنن تشكل دائرة مغلقة يكمل بعضها بعضاً لا تستطيع أن تضيف إليها أو أن تحذف منها، والله سبحانه يسبق فعل الإنسان على فعله لتكون المسؤولية عائدة على الإنسان الذي استخلفه في الأرض، أي أن أي شيء يصيب الفرد والمجتمع يكون ناجماً عن فعل الإنسان أو تخليه عن شيء أو عدم إدراكه لقانون من قوانين الله في الفرد والمجتمع لأنه أعطي الارادة قبلها وقلنا إن الارادة هي مفرق الطريق، انظر كيف أدرك المسيح ذلك فقال: (كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب وأنا أضع نفسي عن الخراف ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد لهذا يحبني الآب لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً ليس أحد يأخذها

مني بل أضعها أنا من ذاتي لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً هذه الوصية قبلتها من أبي) يوحنّا، الاصحاح العاشر (15 - 18).

ولو نظرت بتمعن ودقة في المصحف الشريف فهو اليوم لا يعطي ثمرة لأن الذين يحملونه لا يدركون ما هو وإذا سألتني عن دليل وبرهان على ما أقول، أقول لك ما يلي:

اسأل مسلماً يدعي أنه يدرك هذا الدين السؤال التالي:

ما هي المواضيع التي يتناولها المصحف الشريف وما هو عددها؟

اسأل هذا السؤال مئة شخص تجد مئة جواب كل واحد يختلف عن الآخر ولا يجتمعون على رأي واحد لأنهم وبكل بساطة لا يدركون المصحف الشريف، ولا يدركون المواضيع التي يبحث فيها وكذلك الحال عند بني اسرائيل وكذلك الحال عند الذين يدعون أنهم أتباع المسيح. هذا ما عبر عنه المسيح عليه السلام بقوله: (أيها الجهال العميان) متّى، الاصحاح الثالث والعشرون (17).

وكان يكرر قوله بعبارات أخرى مثل: (وإن كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما في حفرة) متّى، الاصحاح الخامس عشر (14).

ولوجئنا بأي كتاب آخر ككتاب الفيزياء أو الكيمياء أو الرياضيات أو الأحياء أو الجيولوجيا، وسألت الذين يتقنون هذه العلوم ما هي المواضيع التي يبحثها الكتاب، لرأيت أنه

لا خلاف بينهم حول تحديد مواضيع الكتاب، والسؤال الآن لماذا اختلفوا في الأول ولم يختلفوا في الثاني؟

وإذا اختلفوا فإما واحد منهم مصيب أو أن الجميع على خطأ. أما أن يكون الجميع مختلفين والجميع على صواب فالعقل لا يرضى بذلك إذا كان سليماً، ولكن إن لم يكن العقل سليماً يكن الشيء مكعباً وكروياً في آن واحد.

إن هذه العلوم الموجودة في المصحف الشريف أو الموجودة في أقوال المسيح عليه السلام تهيء الإنسان وتؤهله وتحرره من الجهل الذي يسيطر عليه فتفتح أمامه الأسرار الكونية، ويدخل عالماً مغلقاً لا يمكن الدخول إليه بدون الاخلاص والطاعة وهذا ما عبر عنه المولى بقوله:

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥﴾ [فصلت: 5].

وعبر عنه المسيح عليه السلام عندما سئل لماذا تكلمهم بأمثال فأجاب وقال لهم: (لأنه قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات وأما لأولئك فلم يعط فإن من له سيعطى ويزاد وأما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه) متى الاصحاح الثالث عشر (11 - 12).

وعبرعن الهداية والضلال أنهما يخضعان لقانون وسنة بقوله: (لا يقدر أحد أن يأتي إلي إن لم يعط من أبي) يوحنا الاصحاح السادس (65).

قارن ذلك بما قاله الله سبحانه في المصحف الشريف ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: 100].

أي أن الله يهدي والله هو الذي يضل الإنسان وهدايته أو إضلاله سببي يخضع لقانون وسنة كما بينا سابقاً أن الله لا يهدي من هو كاذب كفار وأن الله يضل الذي فسق، عالم من الحرية يتخلى فيها الإنسان عن إرادته ليمسك بالإرادة العليا إرادة الذي خلق الكون، أدرك المسيح عليه السلام هذه النعمة فاستغنى عن إرادته فقال: (ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض) متّى، الاصحاح السادس (10).

أدرك أن مملكة الله لا تأتي إلا إذا تخلى الإنسان عن مشيئته، والمسيح عليه السلام لم يبن مملكة الله لأن أتباعه خانوه جميعاً وكان أُخبر عن هذه الخيانة من قبل وأن أتباعه سيخونونه جميعاً (ولكن لكي تكمل الكتب فتركه الجميع وهربوا) مرقس، الاصحاح الرابع عشر (50).

وكان المسيح عليه السلام يقول: (من ليس معي فهو علي) متّى، الاصحاح الثاني عشر (30).

وكان المسيح يدرك هذه الخيانة وأن أتباعه لن يحموه أو يدافعوا عنه أمام الذين رفضوه من بني اسرائيل لذلك قال: (مملكتي ليست من هذا العالم لو كانت مملكتي من هذا العالم لكان خدامي يجاهدون لكي لا أسلم إلى اليهود ولكن

الآن ليست مملكتي من هنا) يوحنّا، الاصحاح الثامن عشر (36).

ولقد عبر المصحف الشريف عن هذا بقوله: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [آل عمران: 52-54].

واختفى الجثمان. الجثمان لايختفي من الأرض جاء وإلى الأرض يعود ولقد بينا في الكتاب السابق (البحث عن الحقيقة) أين ذهب الجثمان وجئنا بالأدلة والبراهين.

هذه الأمور لا يمكن شرحها لمن لا يبحث في المصحف الشريف أو في أقوال المسيح عليه السلام، لأنك لا تستطيع وصف الفيل لمن هو لا يزال في بطن أمه ولم يخرج إلى الوجود بعد.

فكل ما يصيب الفرد والمجتمع ينجم عن فعل الإنسان أو تخليه عن أمر أوعدم إدراكه لقانون من سنن الله في الفرد والمجتمع، وهذه الواجبات مقسومة قسمين اثنين منها ما هو شخصي ومنها ما هو جماعي أي ما يسمونه فرض عين أو فرض كفاية، ومن هنا ينبع العدل الالهي إذ تكون النتيجة مسبوقة بسبب يتعلق بالإنسان، وسأعرض هنا بعض الآيات التي وضع الله فيها شرط تغييره بتغيير الإنسان أولاً.

إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

إن فعل التغيير (تغيير ما بالنفس من ولاء للطاغوت أو النفاق أو أي معصية أخرى لله سبحانه يجب أن تزول أولاً ليس من الفرد بل من المجتمع) وإذا لم يتم هذا التغيير فلن يتغير شيء فيلجأ إلى العنف الذي يخيل إليه أنه سيغير شيئاً، وهكذا يدخل الإنسان دوامة العنف التي لا تنتهي، ويظن الجهلاء أن امتلاك الأسلحة حصن حصين فراحوا يتفننون باستعمال الأسلحة والتجسس و.. الخ

فالطاغوت موجود بإرادة الله ورضاه وإن الله هو الذي يمسك بزمام النصر لذلك قال: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران: 126].

فإن لم ينصرنا الله معنى ذلك علينا أن نعود أدراجنا لفهم عملية الفشل من جديد لإدراك موضع الخلل.

إن تنصروا الله -------------> ينصركم ويثبت أقدامكم.

إن نصر الإنسان لكلمة الله وإعلائها مقدم على نصر الله للإنسان المؤمن واستخلافه وإعلاء شأنه، وإذا لم يتحقق نصر الله للإنسان فهذا معناه بالدليل القاطع أن الإنسان لا ينصر الله.

أي لا يجعل كلمة الله هي العليا والحكم في الأرض،وكذلك ربط الله النعم التي أنعمها على الإنسان، وقال أنا لن آخذ هذه النعم منك حتى تغيّر ما بنفسك فكلما غيرت شيئاً بنفسك أخذ الله من نعمه إلى أن تزول نعم الله

عنك فتشقى وتقول في كل يوم أمسٍ كان أفضل من اليوم واليوم أفضل من الغد هذه القوانين الشرطية مثل:

إذا جاء الحق ------------> زهق الباطل.

ادخلوا الباب سُجّداً ---------< نغفر لكم خطاياكم.

إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ----> نكفر عنكم سيئاتكم.

حين يزول الود من قلبك للذين يحادون الله ------> يكتب الله الايمان في قلبك

لا يزول ولاؤك للطاغوت ---------> لن يزيل الله الطاغوت عنك.

إن لم تهتدوا -------------> يضركم من ضل.

إذا اهتديتم ------------> لا يضركم من ضل.

إذا فسق الإنسان -----------> أضله الله.

إذا كان الإنسان كافراً كذاباً --------> لا يهديه الله.

عندما يعشو عن ذكر الرحمن ---------> نقيّض له شيطاناً فهو له قرين.

إذا كنت أفّاكاً أثيماً ----------> تنزل عليك الشياطين.

إذا اتبعت هدى الله ----------> فلا خوف عليك.

إذا أعرضت عن ذكر الله ---------> كانت حياتك ضنكاً وتحشر يوم القيامة أعمى.

إذا مسّ الذين اتقوا طائفٌ من الشيطان ---------> تذكروا فإذا هم مبصرون.

إذا ذُكر الله ----------> وجلت قلوب المؤمنين.
إذا تُليت على المؤمنين آيات الله --------> زادتهم إيماناً.
إذا كفر الفرد -------------> فالله موهن كيده.
وإن عدتم -------------> عدنا.
إن تتقوا الله -------------> يكفّر عنكم سيئاتكم.
قل للذين كفروا إن ينتهوا -------------> يغفر لكم ما قد سلف.
وإن يعودوا -------------> فقد مضت سنت الأولين.

فالإرادة هي مفترق الطريق وبعدها مباشرة يأتي عمل الإنسان ثم يليه فعل الله .

فكلما سمع وأطاع اهتدى وأنيرت له الأضواء، انظر قوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر: 18].

ثم انظر إلى قول المسيح عليه السلام كيف أدرك هذه العملية إذ قال: (أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السماوات وأما لأولئك فلم يعط فإن من له سيعطى ويزداد وأما من ليس له فالذي عنده سيؤخذ منه) متّى، الاصحاح الثالث عشر (19 - 23).

إن إدراك هذا النظام والعمل بموجبه لبالغ الأهمية، لأنه الطريق الوحيد للعقل البشري للوصول إليه، وكل جهد يبذل بغير هذا الطريق، هو جهد ضائع ذاهب سدى بلا ثمرة ولا

جدوى، ولا يستطيع العقل البشري الخوض فيه بدون إدراك هذا النظام الفريد من بابه هو، ولذلك فالتأويل والتخمين هما طريقا الضلال، وإدراك هذا النظام يكون من ذاته، وعدم العمل به حاجز يمنع الرؤية.

وبعبارة أخرى فإن المصحف الشريف يفسر ذاته بذاته، وما عليك إلا أن تبحث عنه وتترك وراءك ظنونك وظنون الآخرين، أما أقوال المسيح في الكتاب المقدس فهي الفهم السليم لهذا المصحف الشريف تماماً كالذي ينظر في المرآة، فعندما تنظر في المرآة فأنت لا ترى ذاتك بل ترى صورة مطابقة لذاتك مقلوبة، وكلاهما أي المصحف الشريف وأقوال المسيح عليه السلام شفاء ورحمة للعالمين من أمراض الأرض التي ترى آثارها في كل مكان من بقاع الأرض.

إن الظلم ينبع من عمل الإنسان، وإدراكه ثم تصحيحه والصبر عليه هو الخطوة الأولى لبناء مملكة الله.

قال ابن المقفع[15] (أما بعد فإن لكل مخلوق حاجة ولكل حاجة غاية ولكل غاية سبيلاً فغاية الناس وحاجتهم صلاح المعاش والمعاد والسبيل إلى دركها صحة العقل وأمارة صحة العقل التمييز بين العواقب وأمارة صحة العقل درك الأمور بعواقبها هناك من يصبر لخدمة العواقب البعيدة

---

(15) ابن المقفع، كتاب الأدب الصغير.

وهناك من لا يصبر فكل الناس يشتركون في حب ما ينفعهم وكراهية ما يضرهم ولكن الناس يختلفون في الصبر على ما يكرهون للوصول إلى ما ينفعهم). ولكن المسلمين اليوم يقولون إن ما أصابنا هو من تخاذل طواغيتنا وخيانتهم أو من عند أميركا أو من عند إسرائيل والله يقول ما أصابكم من مصيبة فمن عند أنفسكم وبإذن الله.

وهكذا يدور الناس بزوابع في فنجان الجدل رغم بزوغ الشمس في وسط السماء.

الدين المزيّف وأمراض الفكر

لقد مررنا مسرعين على نحو لم نكن نوده وذكرنا سابقاً أن الدين زُيّف، وقلنا إن الطاغوت وعلماءه جعلوا من الدين أفيوناً يخدّرون به الناس فلابد لنا من بعض التوضيح والأدلة، ولو أنني على يقين أني لا أستطيع أن أوفي الموضوع حقه العادل ويستحيل أن ندركه تماماً بمجرد كتاب ونحن نكتب في مواضيع أخرى متشعبة في الوقت نفسه، ولكن لاستجلاء الحقيقة فلا بد من التمييز بين الزبد الذي يذهب جفاء وما يمكث في الأرض لنفع الناس نبدأ بالقول:

إن الله سبحانه لم ينزل ديناً لبني إسرائيل وآخر للعرب وديناً لأتباع المسيح عليه السلام، انظر إلى قوله سبحانه يخاطب الناس جميعاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١﴾ [البقرة: 21].

﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾.

فهي فريضة على الناس لا على المسلمين.

وما صلاة المسلمين في مكة اليوم إلا مكاء وتصدية وسيذوقون العذاب بما كانوا يكفرون.

وإن هذه المهاترات التي تسمعها في الأرض يوماً بعد

يوم حول إسلام ومسيحية ويهودية لهي انحرافات لا علاقة لها بدين الله الحق، فدين الله هو التوحيد الخالص الناصع وهو مفترق الطريق الذي يحدد منهج الحياة ونظامها تحديداً كاملاً ودقيقاً، فلا قيام لحياة في هذا الكون ولا وجود إلا بهذا الذي خلق فسوّى وأخرج المرعى فجعل التذكرة ثمرة وهدية للذي يخشى.

إنه مفترق الطريق في الاعتقاد كما في السلوك والحياة، فالذي على صلة بهذا الخالق يستمد منه حياته ونظامه وعلمه وحسه ولا بد أنه يختلف عمن يعيش في تصورات تائهة حائرة مشوّشة فلا يجد في ضميره أثراً لإلّه خالق فاعل آمر متصرف في حياته، وإن هذه القوميات الزائفة والطائفية الدينية المنحرفة والأحزاب السياسية الطاغوتية لا تستطيع أن توحد بينها لا تحت خديعة علم ولا بسحر ادعاءات انتماء إلى وطن، فالأرض كل الأرض هي الوطن فلا مكان للإستمداد والتلقي إلا من الذي خلق لا في شريعة أو نظام أو اقتصاد أو اجتماع أو خلق أو أدب فكل ما سوى الذي خلق تصورات زائفة منحرفة فلا وحدة إن لم تتحد الجهة التي يكون منها التلقي وإليها التوجه ولها الاستجابة والطاعة في عبودية عن إدراك وقناعة.

ولو نظرنا في حقيقة هذا الدين لوجدناه ميثاقاً وعهداً وتطبيقاً لشروط السجود بعد اجتناب كبائر نهى الله الخالق عنها.

انظر كيف أقام الله عهداً وميثاقاً مع نوح عليه السلام: (وكلم الله نوحا وبنيه معه قائلا وها أنا مقيم ميثاقي معكم ومع نسلكم من بعدكم) تكوين، الاصحاح التاسع (9).

ثم انظر كيف أقام الله عهده وميثاقه مع ابراهيم عليه السلام فقال: (أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أبا لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم لأني أجعلك أبا لجمهور من الأمم وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما وملوكا منك يخرجون وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا لأكون إلها لك ولنسلك من بعدك) تكوين، الاصحاح السابع عشر (4 - 7).

﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: 124-125].

ولما جاء المسيح عليه السلام قال: (مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد) متّى، الاصحاح الرابع (10).

وقال الله: ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ [الاسراء: 2].

فبين موسى عليه السلام أن الله قال: (إذا سلكتم في فرائضي وحفظتم وصاياي وعملتم بها تسكنون في أرضكم آمنين وأجعل سلاما في الأرض فتنامون وليس من يزعجكم) لاويون الاصحاح السادس والعشرون (3 - 6).

فكل هذه الأمثلة تبين وحدة الدين ولكن الانحرافات التي لحقت بها بفعل الأهواء والتيارات الفكرية والسياسية مكّنت فئة من الطغيان على الإنسان في الأرض، فتركوا شرع الله وتمسكوا بتقليد الناس فلما أدرك المسيح عليه السلام ذلك قال: (تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس) مرقس. الاصحاح السابع (8).

ولقد أدرك المسيح عليه السلام المصلح من المفسد فأشار إلى المفسد قائلاً: (احترزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء) لوقا الاصحاح الثاني عشر (2).

(لم يأتمنهم المسيح على نفسه لأنه يعرف الجميع) يوحنا، الاصحاح الثاني (24).

وبذلك يكشف الذين تركوا وصايا الله سبحانه والتي هي أركان السجود متبعين تأويلات وشبهات ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويل هذا الدين الواحد الممتد عبر رسل الله وأنبيائه والذي يتصل بعضه مع بعض بميثاق بين الذي خلق وأنبيائه حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّـٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾ [الأحزاب: 7-8].

هذا الميثاق ميثاق النبيين هذا نصه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ

ذَٰلِكُمْ إِصْرِيۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: 81-82].

وكان كل نبي يرث ما أنزل الله من كتب ولذلك تجد الكتاب المقدس يقول: (كان الناموس والأنبياء إلى يوحنا) لوقا الاصحاح السادس عشر (16).

ولما جاء المسيح عليه السلام قال أنا الوارث اليوم وكل ما لله هو لي ومن لا يؤمن بي يقطع هذه السلسلة من دين الله يمكث على الخطيئة ولذلك قال: (الآب يحب الابن وقد دفع كل شيء في يده الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله) يوحنا الاصحاح الثالث (35 - 36).

ثم أشار المسيح عليه السلام إلى الذي سيأتي بعده وقال إن هذا الذي سيأتي بعدي سيأخذ ما كان لي ويعطيه لكم أي أن كتب الله التي أوحيت إلى أنبيائه والتي ورثها المسيح أوحيت مرة أخيرة إلى محمد عليه السلام ولكن الناس في غفلة ولا يدركون ما في هذا المصحف الشريف لذلك قال سبحانه: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِيۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنبياء: 24].

هذان أمران اثنان يظنهما المسلمون أمراً واحداً انظر إلى قوله سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِۗ﴾ [سبأ: 31].

فما هو القرآن وما هو الذي بين يديه؟

لو نظرت في دقائق الأمور في كتب الله الموجودة في المصحف الشريف لوجدت كلاً منها يدل على زمان نزوله وعلى من أُنزلت من قبل لأن الله سبحانه حفظها ثم أنزلها مرة ثانية كما نزّلها أول مرة ولذلك قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: 9].

ثم انظر إلى الآية التالية بإمعان وتدبر حيث يخبرنا المولى سبحانه عن يحيى عليه السلام فيقول: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ۝١٥﴾ [مريم: 15].

انظر إلى كلمة ولد

ولد: فعل ماض (لما مضى من الزمان وانقضى)

ثم انظر إلى كلمة يموت

يموت: في المستقبل أي أنه لم يمت بعد

نستنتج مما سبق أنه عندما نزلت هذه السورة كان يحيى عليه السلام قد ولد ولم يمت بعد (أي حيّ يرزق)

فلو نزلت هذه السورة في زمن الرسول وكانت له لقال سلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً، ولكانت صيغة الفعلين كليهما جاءت بالماضي.

لكن جاء الفعل الأول بالماضي والآخر بالمضارع لأن هذا الكتاب هو ذكر لزكريا عليه السلام كما تقول الآية.

وعند نزول هذا الكتاب كان يحيى حياً يرزق ولما قال سبحانه إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون حفظه سبحانه

كما كان لدى نزوله أول مرة، ولذلك فإن دقائقه تدل عليه، وصدق الله مولانا العظيم.

قال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: 19-25].

لذلك ترى السيد المسيح عليه السلام يقول إن لم تؤمنوا بي تبيتوا على الخطيئة وإن تأتوا إلي تكن لكم حياة، انظر قول المسيح: (فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية وهي التي تشهد لي ولا تريدون أن تأتوا إلي لتكون لكم حياة) يوحنا، الاصحاح الخامس (39 - 40).

ثم تراه يعيد ويكرر أن لا أحد يستطيع أن يذهب إلى الآب بدوني، أنا الطريق إلى الله.

(فقلت لكم إنكم تموتون في خطاياكم لأنكم إن لم تؤمنوا أني أنا هو تموتون في خطاياكم) يوحنا، الاصحاح الثامن (24).

الخطيئة التي يتحدث عنها هي القطع بين أنبياء الله وهذا هو ميثاق النبيين وهو يشرح ويقول ويعيد ولا أحد يفهم ما يقول ثم يسألونه من أنت؟

وعندما يقول لكن الذي أرسلني هو حق وأنا ماسمعته منه أقوله للعالم (ولم يفهموا انه يقول لهم عن الاب) يوحنا، الاصحاح الثامن (27).

انظر إلى المسيح عليه السلام يقول: (أنا هو الطريق والحق والحياة ليس أحد يأتي إلى الاب إلا بي) يوحنا، الاصحاح الرابع عشر (6).

فعندما جاء الرسول محمد عليه السلام ونزل ميثاق النبيين أصبح العالم الذي لم يؤمن بالمسيح على خطيئة، وهذا ما أكده السيد المسيح عليه السلام حيث قال: (ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة أما على خطيئة فلأنهم لا يؤمنون بي) يوحنا، الاصحاح السادس عشر (8 - 9).

وهذا ما أكده الله سبحانه في ميثاق النبيين فالذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل هم الخاسرون، والمسلمون لديهم المشكلة نفسها فهم يفسرون أن الوصل والقطع يعنيان صلة الرحم، فإذا كان هذا صحيحاً حسب تفسير المسلمين فإبراهيم عليه السلام قطع الرحم وترك أباه، ومحمد قطع صلة الرحم مع أبي لهب، وموسى قطع صلة الرحم مع بني إسرائيل، وهذا يعني أن جميع رسل الله هم في جهنم حسب

تفسير المسلمين الذين يناقضون بعضهم بعضاً، ولا يشعرون ولا يفقهون أن القطع والوصل مدونان في ميثاق النبيين، لئن جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ومن لا يؤمن به فهو الذي يقطع هذه السلسلة من رسلي وأنبيائي، فهذا القطع والايمان بهم هو الوصل ولذلك ترى في الكتاب المقدس: (كان الناموس والانبياء إلى يوحنا) لوقا، الاصحاح السادس عشر (16).

ولذلك ترى يحيى عليه السلام يسأل هل أنت الأخير أم ننتظر آخر فقال عن نفسه إنه النور وأعطاه علامة يدرك بها من هو فقال العمي يبصرون والطرش يسمعون والموتى يقومون، هذه العلامة أدركها يحيى ولم يدرك معناها الناس من حوله وقال: (النور معكم زمانا قليلا بعد فسيروا مادام لكم النور لئلا يدرككم الظلام والذي يسير في الظلام لا يعلم إلى أين يذهب ما دام لكم النور آمنوا بالنور لتصيروا أبناء النور) يوحنا، الاصحاح الثاني عشر (35 - 36).

سأعطيك مثالاً آخر، انظر الآن في سورة الأعراف (158) ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.

انظر إلى كلمة إني

من هو المخاطب؟

ثم انظر إلى تتمة الآية وهي تقول فآمنوا بالرسول النبي الأمي...و اتبعوه.

الضمير الأول أنا ---> إني رسول الله إليكم جميعاً.

الضمير الثاني هو ----> اتبعوه.

الآية تتكلم عن شخصين اثنين ونحن نعلم أن الضمير هو عائد إلى النبي الأمي والجميع يعلمون أن محمداً عليه السلام هو النبي الأمي، فمن هو الضمير الأول والمشار إليه بـ أنا ----> إني رسول الله إليكم جميعاً؟

لو نظرت في هذه السورة لوجدت أن الله سبحانه يبين كيف يجزي المجرمين وهذا المثال كان المسيح عليه السلام هو الذي قاله من قبل، انظر إلى المسيح عليه السلام وهو يقول: (أقول لكم أيضاً إن مرور جمل من ثقب إبرة أيسر من أن يدخل غني إلى ملكوت الله) متّى، الاصحاح التاسع عشر (24).

ثم انظر إلى قوله سبحانه وهو يوحيه إليه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأعراف: 40].

إن الذي يحقق في جريمة قتل أو سرقة فالأدلة يجب أن تربط بين القاتل والمقتول ثم بين القاتل وأداة القتل، أو القاتل ومكان القتل وبدونها فلا دليل، وهذه العبارة التي خرجت من فم المسيح والمدونة في سورة الأعراف هي دليل أن هذه السورة أوحيت إليه من قبل، إن هذا الدين واحد يرثه نبي بعد آخر ولكن يغفل عنه بعض الناس فكان علينا أن

نظهر هذه الحقائق، وإن المصحف الشريف مليء بالأمثلة والأدلة والبراهين وكذلك أقوال المسيح وموسى عليهما السلام، انظر كيف قال الله لإبراهيم عليه السلام الذي كان اسمه ابرام ثم جعل الله اسمه إبراهيم، فلو نظرت في المصحف الشريف لوجدت أن اسم إبراهيم مذكور تسعاً وستين مرة منها خمس وعشرون تذكر أبرام وأربع وأربعون تذكر إبراهيم، وأنا لا أريد أن أطيل عليكم بالأمثلة وأكتفي بمثال أخير: انظر إلى الآية التالية: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ [السجدة: 23].

السؤال كيف سيلاقي محمد عليه السلام موسى عليه السلام وموسى قد تُوفّي قبل مجيء محمد بأكثر من ألف وخمسمائة عام؟

هذا السؤال أربك المسلمين أكثرمن ألف وأربعمائة عام إلى أن جاء محمد بن علي بن محمد الشويكاني الذي توفي في صنعاء عام 1250 هـ فقال في كتابه فتح القدير إن الرسول محمد عليه السلام قابل موسى عليه السلام عندما عرج إلى السماء، نقول له من السهولة أن تضل الناس إذا لم يكونوا على هداية من ربهم، ولكنه ليس من السهولة أن تضل من يعلم متى نزلت سورة السجدة على الرسول الكريم، انظر في بعض المصاحف تجد أن كل سورة مكتوب عليها نزلت

بعد سورة كذا فلو نظرت في ترتيب نزول سور المصحف الشريف لوجدت أن سورة السجدة نزلت بعد حادثة الإسراء والمعراج بعدة سنين.

فكيف تقول لي إياك أن لا تزور فلاناً عندما تسافر إلى فرنسا، وقد مضى على عودتي عشر سنين؟

إن الإنسان المؤمن يدرك قيمة الهداية بعد الضلال، وقيمة الرؤية الواضحة بعد الغبش، وقيمة الطمأنينة بعد الحيرة، وقيمة الاستقامة على صراط الله المستقيم بعد التيه، وقيمة السجود لله والعبودية له بعد الخروج من كهوف العبودية لطواغيت الأرض واهتماماتهم الصغيرة الحقيرة، والتي تدور في فلك أهوائهم فلا يدركون للدين معنى ولا للتدين مغزى.

لقد بيّن الله سبحانه خمس كبائر وقال اجتنبوا هذه الكبائر لنكفر عنكم سيئاتكم: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: 31].

إذاً الالتزام باجتناب هذه الكبائر هو الدين ولقد قال الله لبني اسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ﴾ [الأعراف: 161].

ما معنى «سُجّداً»؟

الساجد هو الذي جبينه على الأرض، فهو ليس ماشياً أو قاعداً أو قائماً أو جالساً أو نائماً، ولقد فسر علماء الطاغوت أن ساجداً معناه راكع وإلا فلن يستطيع الدخول من الباب.

يعلم الجميع أن الركوع لا يعني السجود، فما هو السجود وكيف نجد معناه في المصحف الشريف؟

نقول نحن نعلم في علم الرياضيات إذا كان لدينا أ = ب

وكان لدينا علم أن أ = ج

فلقد ترتب على ذلك أن يكون ب = ج

وعلى هذا المبدأ نقول:

إذا اجتنبنا الكبائر التي نهانا الله عنها يكفّر عنا سيئاتنا

وإذا دخلنا الباب سُجّداً يكفّر عنا سيئاتنا

إذاً وجب أن يكون «سُجّداً» = اجتناب الكبائر حسب قانون الرياضيات البسيط الذي يعرفه الجميع والذي عجز عن فهمه علماء الطاغوت، فالكبائر هي هذه الأمور الخمسة المدونة في سورة الأعراف، الآية (33) **وليست الخرافات التي ألفها علماء الطاغوت (صلة الرحم و... الخ).**

لأنه حسب علماء الطاغوت إن ابراهيم ومحمداً وموسى عليهم السلام هم في جهنم الآن لأنهم قطعوا صلة الرحم: إبراهيم تخلى عن أبيه، ومحمد تخلى عن أبي لهب، وموسى تبرأمن بني إسرائيل كما يعلم الجميع.

إن إدراك النواة معنى اجتناب الكبائر وممارستها في أرض الواقع هو الاستجابة وهذا معنى أسلم، وبعد زوال الود من قلب النواة إزاء الذين يحادون الله يكون قد آمن فتبدأ رحلة النواة بعد ذلك في طريق التقوى لتكون من أولياء الله وهذا يكون في ممارسة:

أن لا تشرك بالله

أن لا تقرب الفواحش

أن لا تقرب الاثم

أن لا تقربوا البغي بغير الحق

أن لا تفتري الكذب على الله أو أن تقول ما لا تعلم عن الله

ثم ينتقل الإنسان من كونه استجاب أي أسلم إلى كونه آمن، ثم يمارس التقوى ليصبح تقياً وهم أولياء الله أي الذين لا يتخذون من دون الله ولياً وذلك بتطبيق:

1 - ألا تشركوا بالله شيئاً.

2 - بالوالدين إحساناً.

3 - لا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم.

4 - لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

5 - لا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق.

6 - لا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشدّه.

7 - أوفوا الكيل والميزان بالقسط لا يكلّف نفساً إلا وسعها.

(حقوق الناس وحقوق البيئة)

8 - إذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى

9 - أوفوا بعهد الله

10 - لا تتفرّقوا ولا تتبعوا السبل
(كل الناس في الأرض أمة واحدة)

إن ممارسة هذه الأمور العشرة هي الدين الحق، وجاء رسل الله فبينوا دقائقها وفروعها وقالوا أن استعينوا بالصبر والصلاة لأن الصلاة تنهى عن الفحشاء والبغي، والصيام كان على المؤمنين كتاباً موقوتاً، والزكاة لدعم مملكة الله على الأرض، والحج لبيت الله لجميع الناس ليشهدوا منافع لهم، والتزام هذه الأمور هو الصبر ومن مارس هذا في أرض الواقع هم الصابرون ولقد بينا في بحث آخر الصابر والمجاهد.

في كل أسبوع ترى وتسمع على شاشات التلفزة بعض المهرجين يقولون ويقومون بأعمال بهلوانية (خطفوا وحجزوا وزيفوا أقوال المسيح) ويدعون أن المسيح أعطى البصر للذين لا يبصرون، ثم يخفون ما قاله المسيح عليه السلام أنه جاء ليأخذ البصر من الذين يبصرون. يوحنّا. الاصحاح التاسع (39).

ثم يكذبون على البشرية ويزيفون ما قاله السيد المسيح ويقولون إنه ملك السلام وهو الذي قال لا تظنوا أني جئت لألقي سلاماً على الأرض، إن هؤلاء المهرجين سيلاقون يومهم الذي يوعدون وما ربك بغافل عما يعملون، يقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: 178].

إذاً فالحج دعوة ونداء لكل الناس ليشهدوا منافع لهم

وليس للمسلمين كما يدعي علماء الطاغوت ومن استغنى فإن الله غني عن العالمين، وقلنا إن الايمان هو أن يزول الود من قلبك للذين يحادون الله ثم يكتب الله الإيمان في قلبك وإذّاك تكون الصلاة على المؤمنين كتاباً موقوتاً وهي لتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، والصلاة ليست هي العبادة كما يدعي المضللون بل هي للاستعانة على العبادة، انظر إلى قول الحق سبحانه وهو يخاطب موسى عليه السلام: ﴿فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ ۝١٤﴾.

فالصلاة كما ترى لا تشمل اعبدني بل هي لتساعدك على العبادة، والإسلام معناه الاستجابة وتطلق كلمة أمة إشارة إلى البشر الذين عاشوا على الأرض بين نقطتين من الزمن، والبشر موزعون أمماً على حبل الزمن، وبين كل نقطتين تعيش أمة ولكل أمة كتاب ولها أنبياء ورسل، وبين هؤلاء الأنبياء وبين الخالق سبحانه ميثاق أن لا يقطعوا هذه السلسلة وهذا الدين، فكلما حدث شيء جديد في الأرض كان يأتي الخبر من السماء ولذلك قال: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء: 2-3].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ۝١ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾ [الحج: 1-2].

ثم انظر إلى قول المسيح عليه السلام: (وويل للحبالى والمرضعات في تلك الأيام) مرقس، الاصحاح الثالث عشر (17).

الإثم

تتراوح أعمال الإنسان بين قطبين اثنين. إما البرّ والتقوى وإما الاثم والعدوان، ولقد بينا ما هو البر والتقوى والآن نريد أن نلقي بعض الضوء على حبل الاثم الطويل.

الجنف هو الميل عن الحق خطأً، والإثم هو العمد في الميل عن الحق وفيه شيء من العدوان والظلم وهدر الحقوق لأن فيه أثراً من إلباس الحق بالباطل، والإثم هو إحدى الكبائر التي نهى الله عنها ويمتد على سلم طويل فالله سبحانه الرؤوف بعباده يقول: ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: 3].

أما عملية كسب الإثم فهي إما اقتراف أو معصية أوافتراء أو ظلم أو عدوان أو بهتان أو كفر أو اعتداء أو خيانة، ويندرج الإثم ضمن إحدى هذه المراحل والمراتب ولذلك سمي بعضها عظيماً، قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: 48].

وهو أعلى درجات الاثم على الاطلاق والناس في غفلة

عنه، ولقد بينا ذلك في موضوع الشرك والمشركين لأهمية الموضوع في تركيبة الدين ككل.

ثم بين سبحانه الاثم المبين وربطه بالافتراء على الله الكذب، وبينا ذلك في موضوع المفتري قال سبحانه: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾﴾ [النساء: 50].

ثم بين سبحانه أن المؤمن عندما يعطي عهداً عليه الالتزام به فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: 19-21].

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: 58].

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾ [النساء: 112].

ثم ينتقل إلى الكبير فيقول مبيناً:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ [البقرة: 219].

ثم يزيد بالايضاح وضرورة التبين قبل الحكم على الأمور فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: 12].

ثم يبين أن إخراج الناس من ديارهم بغير حق أو أكل أموال الناس بالباطل إثم فيقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [البقرة: 188].

فكل ما نهى الله عنه أو أمر به فعصيانه إثم فالمعصية إثم وكتم الشهادة إثم ومن يكسب إثماً فإنما يكسبه على نفسه.

وكما بينا هناك الكفّار الأثيم وهناك منّاع للخير معتدٍ أثيم وهناك الأفّاك الأثيم وهناك المعتدي الأثيم وهناك الخوّان الأثيم، وأخيراً يبين أن اجتناب هذه الكبائر أول واجبات المؤمن فيقول: ﴿وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: 31-32].

إذاً وكما أسلفنا فإن الاثم محصور بشروطه ولايمكن أن نزيد أو ننقص أياً من الشروط التي وضعها الله كي لا نفتري على الله الكذب، ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المراجع

1 - المصحف الشريف.

2 الكتاب المقدس.

3 المنجد في اللغة، دار المشرق، توزيع المكتبة الشرقية، 1986، بيروت.

4 - نمط الانتاج (الآسيوي)، كتاب أندرسون، ص 397.

5 - قصة الحضارة، ول ديورانت، دار الجيل.

6 كتاب الطاغية، أ. د. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة.

7 - كتاب الحرية رقم 1، هذا هو الإسلام، محمد متولي الشعراوي، دار الحرية، القاهرة، الدار المصرية للنشر والتوزيع.

8 - العمل قدرة وإرادة، جودت سعيد، دار الفكر المعاصر، بيروت.

9 - كتاب الاتقان في علوم القرآن، ص 61، عبد الرحمن السّيوطي، دار المعرفة، بيروت.

10 – King JamesVersion كلمات المسيح بالحرف الأحمر.

مطبوع في Holman Bible Publishers Nashville , Tn.
لندن.

Eyre and Spottiswoode (publishers) London.

11 - كتاب الأدب الصغير، لابن المقفع.

12 - كتاب غيث النفع في القراءات السبع، وليّ الله علي النوري الصفاقسي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر.

13 - متن الأجرومية لأبي عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي المعروف بابن آجروم، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

14 - جون لوك، في الحكم المدني، ترجمة ماجد فخري بيروت، 1959، اللجنة الدولية لترجمة الروائع.

المحتويات